التعليق على تفسير ابن كثير لسورة ق

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

[(03) أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق

[وهي مكية] هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح، وقيل: من الحجرات. وأما ما يقول العوام أنه من عمّ، فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم، المعتبرين فيما نعلم.

والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود[1] في سننه باب تحزيب القرآن، ثم قال حدثنا مسدد، حدثنا قِراب بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حيان، وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال: عبد الله بن سعيد: حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال: قدمنا على رسول الله ✕ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ▲، وأنزل رسول الله ✕ بني مالك في قبّة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله من ثقيف. قال: كان رسول الله ✕ كل ليلة يأتينا بعد العشاء، يحدثنا، قال: أبو سعيد قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ✕ ما لقي من قومه قريش، ثم يقول ✕ «**لاَ أَسَاءُ وكنّا مستضعفين مستذَلِّين** -قال مسدد: بمكة- **فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سِجالا بيننا وبينهم، نُدال عليهُم ويدالون علينا**» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ✕ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه،

1393(?)1

فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟ قال ﷺ «**إنه طرأ علي حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه**».

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. ورواه ابن ماجة[2] عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد[3] عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به.

إذا عُلم هذا فإذا عددت ثمانيا وأربعين سورة، فالتي بعدهن سورة ق. بيانه:

ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء.

وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة.

وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل.

وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان.

وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وألم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس.

وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات.

ثم بعد ذلك الحزب المفصل.

---

[2] (?) 1345

[3] (?) 49 و 343

كما قاله الصحابة ، فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلناه ولله الحمد والمنة.

قال الإمام أحمد:[4]حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا مالك عن ضَمْرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال بقاف واقتربت. ورواه مسلم[5]وأهل السنن الأربعة[6] من حديث مالك به.

وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبيد الله عن أبي واقد قال سألني عمر فذكره.

حديث آخر وقال أحمد[7]حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أسعد بن زُرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنّورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم [8]من حديث ابن إسحاق به.

وقال أبو داود[9]حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن خبيب عن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنه الحارث بن النعمان قالت: ما حفظت ق إلا

(?)4 5217

(?)5 891

(?)6 د1154 ت534 س3183 جه1282

(?)7 6435

(?)8 873

(?)9 1100

من فِي رسول الله ✕ يخطب بها كل جمعة، قالت: وكان تنورنا وتنور رسول الله ✕ واحدا، وكذا رواه مسلم[10]والنسائي وابن ماجة من حديث شعبة به.

والقصد أن رسول الله ✕ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجُمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم.

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فما اشتمل عليه كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هنا واضح مِن أنّ سورة ق هي أول المفصّل، وقيل إن أوله سورة الحجرات.

وسورة ق اشتملت على موضوعات عقدية:

ففيها إثبات البعث.

وفيها إقامة الحجة على أن هذا القرآن حق من عند الله جل وعلا من أوله.

وفيها التنبيه على آيات الله جل وعلا في الآفاق وفي الأرض.

وفيها ذكر نهاية الإنسان بالموت والسّوْق إلى الجنة أو إلى النار.

---

[10](?) 873

وفيها بعث الأجساد بعد فناء الدنيا إذا أَذِن الله جل وعلا بقيام الناس لرب العالمين.

فسورة ق فيها أصول من أصول الإيمان، الإيمان بالكتاب والإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل والإيمان بالبعث بعد الموت.

وفيها أيضا الإيمان بوحدانية الله جل وعلا في ربوبيته وفي إلهيته.

فإذن أركان الإيمان أغلبها في هذه السورة، وهذه أكثر السور المكية فيها ذكر أركان الإيمان وتأصيل ذلك وتقريره وإقامة الأدلة عليه.

وهذا سيأتينا واضحا إن شاء الله تعالى فيما نقرأ.

[المتن]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (4) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ(5)﴾

﴿**ق**﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى ﴿**ص**﴾ و ﴿**ن**﴾ و﴿ **الم**﴾ و ﴿**حم**﴾ و﴿**طس**﴾ ونحو ذلك، قال مجاهد وغيره، وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته.

[التعليق]

﴿ق﴾ هذا حرف من أحرف الهجاء مثل ﴿الم﴾ ألف حرف لام حرف وميم حرف ومثل ﴿ص﴾ ومثل ﴿ن﴾ كلها أحرف هجاء العربي أحرف الكلام العربي.

وفي مجيئها في أول السور مذاهب لأهل العلم وتتلخص هذه المذاهب في اثنين:

الأول أن لها معنى.

والثاني أن معناها بالإشارة والتنبيه.

الأول منهما أن لها معنى في نفسها.

والثاني أن لهما معنى يأتي بالإشارة والتنبيه.

والأقوال فيها كثيرة تبلغ اثني عشرة قولا يمكن تقسمها على هذين القولين.

فمنها أنها مختصرة من كلمات وهذا أن تكون لها معنًى في نفسها، فمثلا معنى ق قِفْ لأمر جلل عظيم كما قال الشاعر:

قلتُ لها قِفِي قالت ق لا تحسبي أننا نسينا.....

(قلت لها قفي قالت ق) يعني وقفت فـ﴿ق﴾ تكون اختصار لكلمة.

لهذا قال ابن عباس فيما روي عنه أن هذه الحرف هي لها معنى من جهة أنها بعض أسماء الله جل وعلا، فـ﴿ق﴾ اختصار في بعض أسماء الله و﴿الم﴾ هذا اختصار في بعض أسماء الله و﴿ص﴾ وهكذا في تفاصيل لهذا القول.

القول الثاني أن لها معنى ولكن بالإشارة والدلالة، وذلك أن هذا الحرف من حيث هو حرف هجائي ليس ظاهرا معناه في نفسه وإنما الحرف الهجائي معناه إذا رُكِّب مع

غيره في كلام مفهوم أو كلمة مفهومة تدل على ذات أو معنى، أما هو ليس له معنى في نفسه، وإنما قد يدل على شيء، ففي أوائل السور مما جاء من الأحرف المقطعة قال طائفة أهل العلم هذه الأحرف المقطعة هي إشارة إلى أنّ هذا القرآن كلماتُه وآياته من هذه الأحرف التي ﴿ق﴾ واحد منها من أحرف الهجاء التي ﴿ق﴾ واحد منها والذي ﴿الم﴾ منها والذي ﴿ص﴾ منها والذي ﴿يس﴾ منها.

وإذا كان كذلك فإن هذا القرآن كلام مؤلف من أحرف الهجاء المعروفة التي يستعملها العرب في إنشاء قصائدهم وإنشاء خطبهم التي يتفاخرون لها.

فإذن ليس مكونا وليس مؤلفا بأحرف غريبة عنهم، فإذا كان كذلك فليأتوا بمثل سورة منه أو بمثل عشر سور مثله مفتريات، أو يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يمكن أن يكون ذلك لأنه كلام الله جل وعلا، يدل على هذا القول الذي أصوب الأقوال وأصحها الاستقراء، والاستقراء إذا كان تاما أو كان أغلبيا فإنها حجة عند علماء الأصول كما هو معروف.

فإذا استقرأت السور التي بدئت بالأحرف المقطعة وجدت أنها جميعا يكون بعد الحرف المقطع أو الأحرف المقطعة في أولها ذكر القرآن، وهذا للتنبيه على المعنى الذي ذكرت ﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾[البقرة:1-2]، ﴿**الم (1) اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾[آل عمران:1-3]، ﴿**المص (1) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾[الأعراف:1-2]، ﴿**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[هود:1]، ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾[ق:1]، ﴿**يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[يس:1-2]، ﴿**طه (1) مَا أَنزَلْنَا**

﴿عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه:1-2]، وهكذا، فكل سورة فيها ذكر هذه الأحرف المقطعة يأتي بعدها إما مباشرة أو بعد شيء ذكر القرآن...، يدل على صحة هذا القول.. وهو أن هذه الأحرف المقطعة بدئت بها السور لتكون دلالة على أن هذه السورة مؤلفة من أحرف من جنس الأحرف التي تنظمون بها كلامكم وتعجزون عن الإتيان بمثل سورة من هذا القرآن.نعم

[المتن]

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكأن هذا – والله أعلم- من خرافات بني إسرائيل، التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، مما لا يصدّق ولا يكذب.

وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبّسون به على الناس أمر دينهم، كما أُفْترى في هذه الأمة، مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ، وما بالعهد من قدم.

فكيف بأمة بني إسرائيل، مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[11] فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويُحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل. والله أعلم.

---

[11](?) خ3461

[التعليق]

يعني أن الأخذ عن أهل الكتاب أو التحديث عنهم أو ما يسمى بالإسرائيليات فهي أربعة أقسام:

القسم الأول: ما جاء في شرعنا، فهذا في شرعنا غنى عما عند غيرنا، وإذا أورد ما عند أهل الكتاب مؤيد لما في شرعنا فهذا من قبيل الاستزادة والشواهد.

والثاني: ما جاء شرعنا بخلافه، وهذا لا يجوز تحديث عن أهل الكتاب فيه؛ لأنه إذا كان ما عندنا خلاف ما عندهم، فالحق ما في القرآن وفي السنة؛ لأنها ناسخة ما قبلها ولأن القرآن مهيمن على ما في قبله.

الثالث: أن لا نصدق ولا نكذب في حديث لم يأتِ في شرعنا ما يوافقه ولم يأت أيضا ما يخالفه، وإنما هو كالتفصيل لشيء أو التفسير لشيء جاء في القرآن؛ ولكن ليس عندنا إبطال لهذا، وليس عندنا الرد عليه، ولا إثبات ذلك الذي قالوه، فهذا الذي جاء فيه قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، «**إذا حدثكم بني إسرائيل فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم**» يعني في هذا القسم الذي لا نعلم بأنه جاء بشيء لم يأت عندنا تصديقه ولا تكذيبه.

القسم الرابع: وهو الذي ذكره الحافظ ابن كثير هنا، وهو ما تحيله العقول، حدّثونا بشيء تحيله العقول، وهذا كثير القصص الحكايات فيها جُمل نقول باطلة عقلا لا يمكن أن يكون ذلك، منها ما روي عن كتب بني إسرائيل أو عن بعض علمائهم أن ق جبل محيط بالأرض، هذا راج عند

العوام حتى في العوام، بعضهم يقول جالس من وراء ق، يعني يتصورون أن ق جبل محيط بالأرض وما بعده إلا الهوى ما يدري وين يروح.

وهذا باطل لأنه تحيله العقول أولا؛ أن يكون جبل محيط بالأرض الناس في الزمن الأول راحوا من نقطة ورجعوا إلى النقطة نفسها، ويدل على بطلانهم أن الله جل وعلا بيّن أن الأرض كرة في قوله جل وعلا ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾[الزمر:5]، وأجمع العلماء على كُرِّيَّةُ الأرض، وهذا فيه إبطال هذا القول.

المقصود الفائدة من أحوال الإسرائيليات ما تحيله العقول فهذا يرد ولو كان لم يأتِ في شرعنا، فلا يدخل قوله عليه السلام «**لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**» أو «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» لأن قوله «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»؛ لأن قوله «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» بشرط أن لا يكون في شرعنا ما يخالفه وبشرط أن لا يكون فيما تحيله العقول، فإذا كان مما تحيله العقول لا يجوز التحديث به إلا مع بيان بطلانه.

ذاك القسم هو الواضحات، فيه أشياء واضحة، جاء النص بخلافها، مقابل ما قالوه، بنص واضح؛ لكن مثل هذه فقه ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾ قد ما ينتبه لها كل أحد.

[المتن]

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب، في

تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى إخبارهم. ولله الحمد والمنة.

حتى أن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصحّ سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: حدثنا أبي قال: حُدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سُليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف، السماء الثانية مرفوعة عليه. حتى عدّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سماوات. قال: وذلك قوله تعالى ﴿ **وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**﴾[لقمان:27]، فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع.[12]

والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ **ق** ﴾ هو اسم من أسماء الله عز وجل.

والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى ﴿ **ص** ﴾ ﴿ **ن** ﴾ ﴿ **حم** ﴾ ﴿ **طس** ﴾ ﴿ **الم** ﴾ ونحو ذلك، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل:

---

[12](?) فيه انقطاع وفيه جهالة أيضا لأنه يقول:حُدثت، فيه ضعف أيضا.

المراد قُضي الأمر والله، وأن قوله جل ثناؤه ﴿ق﴾ دلت على المحذوف من بقية الكلمة.

[التعليق]

رواية علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس أوثق من غيرها؛ لأن علي بن أبي طلحة أخذ التفسير عن مجاهد مكتوبا في تفسير ابن عباس، ومجاهد عرض التفسير على ابن عباس ثلاث مرات يسأله على كل آية، ولذلك أهل الحديث يرجّحون رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على غيرها، واعتمدها البخاري رحمه الله فيما يعلق عن ابن عباس في صحيحه في كتاب التفسير في صحيحه وغيره، وقد قال الإمام أحمد إن بمصر صحيفة في التفسير يرويها علي بن أبي طلحة لو رحل إليها رجل ما كان كثيرا، هذه الصحيفة الصحيحة في التفسير عن ابن عباس، وعلة رواية علي عن ابن عباس بأنها منقطعة؛ لأن علي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس، وقالوا هي وجادة وهذه الوجادة منقطعة، لأنه لم يرو هذه بالإسناد قال الحفاظ كابن حجر وغيره ثبت أن الواسطة بين علي وابن عباس: مجاهد، فإذا ثبتت الواسطة فلا ضير؛ لأن علي عن ابن عباس بينهما مجاهد، ويختصر فلا يذكر مجاهد؛ لأنها وجادة فلا يعد هذا تدليسا أو إسقاطا لراو مع الحاجة إلى ذكره؛ لأنها وجادة، وكما تعلمون أن السلف يتوسعون في الوجادات وهي الروايات التي توجد مكتوبة في صحيفة ويُعرف خطُّها ونحو ذلك بشروطها المعتبرة عند أهل الحديث.

المقصود هذا وجه ردّ الرواية الأولى رواية ليث بن أبي سُليم عن مجاهد عن ابن عباس، وترجيح الرواية الثانية؛ لأن الثانية رواها علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وأيضا مجاهد رُوي عنه ما يوافق ذلك، ومجاهد هو الذي عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات.

وهذه من أوجه الترجيح في التفسير بين الروايات.

فلتنظر إلى الرواية عن الرواية الأثبت عن المفسّر من الصحابة أو من التابعين، تنظر إليها من جهة الإسناد التفسيري؛ لأن النظر في أسانيد المفسرين يختلف عن النظر في أسانيد المحدّثين.

والثاني من جهة اختصاص المفسّر من الصحابة أو من التابعين بمن روى عنه، لكل واحد من يختص به، ومن ينقل التفسير عن الصحابة أو الواحد من التابعين أو الواحد من الصحابة تختلف مراتبهم، فمنهم من يكون مرتبه عليا في نقل التفسير بعضهم متوسطة بعضهم أقل، فعند التعارض في الروايات ترجّح الرواية التي تكون أثبت من هذه الجهات التي ذكرت.

تارة يكون الترجيح غير متيسر، وتكون الروايات كلها صحيحة، فيرجع إلى تعدد الروايات، كما يقال عن ابن عباس فيها قولان، روايتان في التفسير، أو عن مجاهد فيها قولان ونحو ذلك كما تراه في تفسير ابن جرير أو في زاد المسير لابن الجوزي وفي نحوهما.

[المتن]

كقول الشاعر:

قلت لها قفي فقالت قاف

وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟

وقوله تعالى ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أي الكريم العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:42].

واختلفوا في جواب القسم ما هو؟

فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾

وفي هذا نظر؛ بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القَسَم، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يتلقى لفظا، وهذا كثير في أقسام القرآن، كما تقدّم في قوله ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[ص:1-2]، وهكذا قال ههنا ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[التعليق]

هذا القسم وجواب القَسَم، هذا كثير في القرآن؛ لكن ننبه إلى أن القَسَم لابد له من جواب.

ما معنى جواب القسم؟ يعني الشيء أو المعنى الذي من أجله أُقْسِم؛ لأن المرء في كلامه المعتاد إذا أقسم فإنه يقسم على شيء، لإثبات شيء، لتأكيد شيء، هذا من أجله يقسم، والله جل وعلا في القرآن أقسم، ويقسم لتأكيد شيء، هذا الشيء الذي يراد تأكيده بالقسم، هو الذي يسمى جواب القسم:

- تارة يكون لفظا.
- وتارة يكون معنى.

من **اللفظ** قوله جل وعلا ﴿**يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[يس:1-3]، هذا قسم بالقرآن لم أُقسم؟ للتأكيد على رسالة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

ومن **المعنى** -يني يأتي القسم لإثبات معنى- وهو ما دلّ عليه السياق، مثل سورة ق وسورة ص كما ذكر ابن كثير هنا، وهذا ظاهر في أقسام القرآن من علوم القرآن.

[المتن]

أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر كقوله جل جلاله ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ**﴾[يونس:2]، أي وليس هذا بعجيب، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا، ومن الناس.

ثم قال عز وجل مخبرا عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾ أي يقولون أئذا متنا وبُلينا، وتقطعت الأوصال منا وصرنا ترابا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿**ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾ أي: بعيد الوقوع. والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه.

قال الله تعالى رادا عليهم ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا، أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت، وإلى أين صارت؟

﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لذلك فالعلم شامل، والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة.

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرهم.

ثم بيّن تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق، مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[الذاريات:8-9].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10) رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)﴾

يقول تعالى منبّها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا، مستبعدين لوقوعه ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي بالمصابيح، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد يعني من شقوق، وقال غيره: فتوق، وقال غيره: صدوع.

والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾[الملك:3-4]، أي كليل عن أن يرى عيبا أو نقصا.

وقوله تبارك وتعالى ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**﴾ أي: وسعناها وفرشناها.

﴿**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب، فإنها مقرَّة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها.

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قول الله جل وعلا ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**﴾ من القواعد المقرّرة في التفسير أنّ الاستفهام الذي يكون في القرآن:

تارة يكون على حقيقته، يعني لطلب الفأل.

وتارة يكون استفهام إنكار.

وتارة يكون استفهام توبيخ.

وتارة يكون استفهام توبيخ وإنكار معا.

والاستفهام الذي يكون على بابه يعني أن يكون لطلب الفهم، هذا واضح، وهو أن يكون السائل يريد فهم الجواب، كقوله ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾[يوسف:90].

وأما الاستفهام الإنكاري فضابطه أن يكون ما بعده مُبْطَلا؛ يعني إذا أزلت الاستفهام وأتيت بالكلام بدون الاستفهام لكان كلاما باطلا، كقوله جل وعلا ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾[النمل:60، 61، 63، 64]، لو أزلت الاستفهام -يعني الهمز- صارت الكلمة إله مع الله وهذا باطل، فيكون الهمز هنا للاستفهام الاستنكاري.

وضابط التوبيخي أن يكون ما بعده واقعا، مقابلا للاستفهام الإنكاري.

والأخير وهو أن يكون توبيخيا إنكاريا ما تردد بين هذا، يحتمل أن يكون للإنكار، ويحتمل أن يكون للتوبيخ فلا يمنع أن يكون لهما معا.

وإذا كان كذلك، فالاستفهام كثيرا ما يأتي بعده حرف الواو أو حرف الفاء كقوله هنا ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾، ومن المعلوم أنّ الواو أو الفاء من أحرف العطف، فهذه عطفت ما بعدها على أي شيء؟ لم يُذكر شيء بعدها حتى يعطف ما بعدها عليه، قالوا عُطف ما بعدها بالفاء أو بالواو على جملة محذوفة تناسب السياق.

فقوله هنا ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ﴾ قال أيكذبون بالحق وبالقرآن وببعث الأجساد بعد الموت فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها يعني تكذيبهم كان مع عدم النظر أو كان مع النظر؟

فإن كان مع عدم النظر فإنه أخف.

أما إذا كان مع النظر ومع قيام دلائل الله جل وعلا في الآفاق في السماء فإن هذا يكون تكذيبا قبيحا جدا، ولهذا قال في الآية قبلها ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ**﴾ هذا تنبيه.

والثاني قوله ﴿**إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ**﴾ المراد بالسماء إذا أُطلقت في القرآن أو إذا أُفردت أن تكون واحدة السماوات، قد يشمل السماء الدنيا أو ما بعدها، أو أن يكون جنس السماء، أو أن المراد العلو، أما إذا جُمعت السماوات فلا تحتمل إلا أن تكون السماوات جميعا، ولا يدخل معنى العلو فيها، فقوله في هذه الآية ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا**﴾ المقصود السماء المنظورة -السماء الدنيا-؛ لأنها هي التي قامت بها الحجة وقام بها الدليل.

سمعتَ ما في تفاسير السلف في قوله ﴿**زَيَّنَّاهَا**﴾، وكلمة ﴿**زَيَّنَّاهَا**﴾ هذه لها استعمال مطّرد في القرآن لا تحيد عنه، وهي أن يكون التزيين أو الزينة بأمر خارج عن الذّات المزينة، فلا تكون الزينة في القرآن بأمر أو بشيء في الذات نفسه؛ يعني من خِلقتها؛ بل هو شيء مجلوب للذات ليزيَّن بها، ولهذا فسر السلف الزينة بأنه ما جُعل في السماء من النجوم والبروج ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا**﴾[الفرقان:61].

ونحو ذلك قوله ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**﴾ [الكهف:7].

ونحو ذلك قوله ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[الأعراف:31].

فالزينة شيء مجلوب للذات ليس من الذات نفسها؛ ولكن شيء خارج عنها يُجلب للتزيين وللتحسين.

وبالتالي هناك فَرْق بين الزينة وبين الجمال، ما بين الحسن وبن الزينة؛ لأن الجمال شيء ملازم، والزينة شيء مجلوب.

وعلى هذا الاستعمال المطرد قول الله جل وعلا ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾[النور:31]، فإنّ تفسير الزينة هنا بأن المراد به الوجه، وأنه هو الزينة الظاهرة، هذا مخالف لاستعمال الزينة المطّرد في القرآن؛ لأن الزينة لا تكون من الذات، ففي قوله ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾، نعلم باستعمال القرآن المطرد أن الزينة شيء مجلوب لتحسين المرأة.

ولهذا اختلف السلف في هل هو اللباس أو الكحل والخاتم والقُرط ونحو ذلك؟

أما من قال: الزينة الوجه هي الزينة الظاهرة هذا خارج عما هو التحقيق في فهم معنى الزينة في القرآن. نعم

[**المتن**]

وقوله تبارك وتعالى ﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** ﴾ أي: وسعناها وفرشناها.

﴿**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب، فإنها مقرَّة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها.

﴿**وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا**

﴿زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات:49]، وقوله ﴿بَهِيجٍ﴾ أي حسن المنظر.

[التعليق]

هنا في قوله ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، ﴿فِيهَا﴾:

تحتمل أن يكون معناها على بابها يعني في الظرفية فتكون الرواسي في داخل الأرض.

ويحتمل أن يكون معنى ﴿فِيهَا﴾ عليها، وألقينا عليها رواسي.

وكلا المعنيين صحيح، لأن هذه الرواسي فيها وعليها وكما قال جل وعلا في آية فصلت ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾[فصلت:10]، وقال جل وعلا في آية النبأ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:7]، والوَتَد أو والوَتِد منه ما هو أعلى ومنه ما هو في داخل الأرض.

فإذن من فسّرها من المعاصرين بأنّ الرواسي هي الجاذبية ونحو ذلك، نقول: هذا باطل؛ لأن الرواسي في القرآن جاءت أنها داخلة وخارجة، الخارجة عليها، والجاذبية فهذه ليست بأمر خارج عليها وإنما هي أمر خفي، وإذا كان أمرا خفيا فالاستدلال لا يكون بأمر خفي، فظهر أن قوله ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أن هذا الإلقاء في داخلها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾؛ يعني في داخل الأرض تجعلها متزنة لا تميد ولا تضطرب، كما قال هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا، فهي كالدابة الذلول تمشي بصاحبها على أحسن ما يريد.

وفي آية فصلت ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ يفيد أن هـذه الرواسي عليها من فوقها فـإذن تجمع هـذه وهذه.

أما التفسـير بالجاذبية ونحو ذلك فهـذه تفسـيرات ليست بجيّدة من جهة اللفظ ومن جهة أيضا أن الحجة لا تكون بأمر خفي، إنما الحجة تكون بأمر ظاهر.

التفسير العلمي إذا كان خارجا عن اللفظ فإنه باطل؛ لأنه يكون من باب الإشارة التي لا دليل عليها؛ لأن القـرآن نفهمه باللسان العـربي ما نفهمه لما في أذهاننا من تصـورات دون دلالة اللفظ عليـه، فـإذا دل اللفظ على الشـيء صـار مستمسكا، أما إذا كان اللفظ خارجا عن المدَّعى الذي يدعيه طائفة من العصـريين في الاكتشـافات العلمية ونحو ذلك فلا يؤخذ بهذه الاكتشافات من جهة دِلالة القرآن عليها.

[المتن]

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: ومشاهدة خلق السـماوات والأرض، وما جعل الله فيهما من الآيـات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: خاضع خائف وجل رجّاع إلى الله عز وجل.

وقوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاء مُّبَارَكًا﴾ أي نافعا، ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: حدائق من بساتين ونحوها، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره.

[التعليق]

أصل أناب آب؛ لكن جاءت النون لتقوية المعنى، فكما أن المبنى زاد فكذلك المعنى زاد، فألفاظ وضعتها العرب متقاربة من أول حرف اللفد والتاء والثاء، وكذلك الباء مع شيء من إعمال النظر، آب وتاب وثاب هذه كلها فيها الرجوع، حتى بَابٌ فيه أيضا الرجوع.

المقصود أن النون هنا في ﴿مُّنِيبٍ﴾ لتقوية معنى الإياب، أصل الكلام من حيث الاشتقاق ﴿مُّنِيبٍ﴾ من الإياب؛ آبَ يؤوب إيابا، ثم قُويت فصارت أناب يُنيب إنابة للتقوية.

هذه تنتبه لها في التفسير كثيرا، إذا عرفت الكليات التي تدور عليها الألفاظ -يعني معاني الألفاظ- فإنك يسهل عليك فهم الكلمات وتفسيراتها مع معرفة ما تدور به في القرآن.

فابن كثير إيش قال في تفسير ﴿مُّنِيبٍ﴾؟ هنا كلمة (رجّاع) تفاسير السلف ومن نحا نحوهم ليست ثقافية، ليست كلمة يفسرها بالمزاج، بما يريد، كلمة (رجّاع) هذه لماذا استعمل صيغة المبالغة أخذها من مجيء النون في كلمة منيب من أصلها آب يدل على تقوية المعنى يعني على المبالغة فيه .

فدائما تنتبه تفسير ابن كثير سهل ممتنع، فيه ألفاظ يفسرها، لماذا استعمل لفظ المبالغة هنا؟ رجّاع من أين أتى بأن ﴿مُّنِيبٍ﴾ رجّاع؟ من الاشتقاق الذي ذكرت لك.

أنا أنبهكم تنبيهات عامة بَسْ لتفهموا على منوالها التفسير في أي مكان منه.

[المتن]

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالا شاهقات، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم: الباسقات الطوال.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود.

﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: للخلق.

[التعليق]

﴿نَّضِيدٌ﴾ بمعنى منضود هذا على بابها، ﴿نَّضِيدٌ﴾ معنى منضود؛ لأن فعيل تأتي بمعنى فاعل وبمعنى مفعول، بحسب ما يناسب السياق، تارة تأتي هذه وهذه جميعا تناسب.

مثل ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[يس:2]، ﴿الْحَكِيمِ﴾ بمعنى حاكم محكم، هنا فعيل بمعنى فاعل، وقتيل بمعنى مقتول، لا يكون قتيل بمعنى قاتل، قتيل فعيل بمعنى مفعول، هنا ﴿نَّضِيدٌ﴾ بمعنى منضود ففعيل تارة تأتي في التفسير بمعنى فاعل وتارة تأتي بمعنى مفعول.

النضد رصّ الشيء؛ هذه بجنب هذه. هذا معنى النضد.

[المتن]

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وهي الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى.

وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس، أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، كقوله عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ

﴿وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:57]، وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف:33]، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:39].

[التعليق]

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ الماء أيضا في القرآن ظاهره المطر؛ الغيث، وله معنى باطن في كثير من الآيات وهو أن المراد بالماء القرآن؛ الوحي، ولاشك أن القرآن والوحي غيث، ولهذا تجد في تفاسير السلف في الآيات التي فيها ذكر الماء أنهم يقولون: هذا فيه الإشارة أو فيه البيان على نزول القرآن وأثره على القلوب.

هنا قال آخر آية ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾، ﴿بِهِ﴾ يعني بالماء وهذا فيه السببية، فهذه الآية فيها رد على الأشاعرة ومنكرة الأسباب عموما؛ لأنه أثبت الفاعل وأثبت السبب قال ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ فالمحيي هو الله بسبب هذا الماء، فلا يكون إحياء الله جل وعلا فيما جرت به سنته بلا سبب، هو جل وعلا على كل شيء قدير يحيي بلا سبب؛ ولكن فيما جرت به السنة أنه يحيي بسبب، والباء هنا باء السببية.

قوله ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ الكاف ﴿كَذَلِكَ﴾، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يعني أن الماء ينزل على الأرض الخاشعة الهامدة فتهتز نباتا بهيجا حسنا في عين رائيه بعد أن كان لا يتصور أن هذه تحيى كذلك الخروج هذا لأحل أن الخروج يكون بإنزال مطر على الأرض التي فيها الأجساد بعد البلاء فتنبت الأجساد مثل النبات، هذا مثل هذا ولهذا قال جل وعلا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾[فصلت:39]، لأن المسألة واحدة؛ وذلك لأتن الإنسان يبلى منه كل شيء إلا عَجْبَ الذنب لا يبلى، فيكون كبذرته؛ بل هو بذرة له في الأرض، فينزل الله جل وعلا بين النفختين -النفخة الأولى والثانية؛ يعني نفخة الصعق ونفخة البعث- يُنزل مطرا كما الرجال من جهة صفته من أنه غليظ أبيض فتمطر الأرض منه أربعين، فإذا أُمطرت نبتت الأجسام بأرواح كالأشجار، ثم بعد ذلك ينفخ في الصور نفخة البعث فتتطاير الأرواح فتذهب روح كل إنسان إلى صاحبها فيكون البعث.

المقصود من ذلك أن قوله ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تشبه للكاف هذه وتفسيرها في آية سورة فصلت ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

وفي آية فصلت بالمناسبة قوله ﴿خَاشِعَةً﴾ فيها البحث وهو أن الخشوع يكون في الظاهر هذا من أدلة من قال أن الخشوع يكون في الظاهر لا في الباطن ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ

﴿وَرَبَتْ﴾ لأن الاهتزاز الظاهر هذا ينافي الخشوع أو يقابل الخشوع.

[المتن]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15)﴾

يقول تعالى متهدّدا لكفار قريش بما أحلّه بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرّس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان.

﴿وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ وهم أمته الذي بُعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهو قوم شعيب عليه الصلاة والسلام.

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان، ما أغنى عن إعادته ههنا، ولله الحمد والشكر.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذبت رسولهم، ومن كذب رسولا فكأنما كذّب جميع

الرسل، كقوله جل وعلا ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:105]، وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي فحقّ عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك.

وقوله تعالى ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: أفأعجزنا ابتداء الخلق، حتى هم في شك من الإعادة.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى أن ابتداء الخلق لم يُعْجِزْنا والإعادة أسهل منه، كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الروم:27]، وقال الله جل جلاله ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[يس: 78-80]، وقد تقدم في الصحيح خ4974 يقول الله تعالى «**يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**».

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذه الآيات ظاهرة المعنى بينة، وذِكر قصص الأنبيـاء في القرآن يأتي لفوائد:

الفائدة الأولى: أنّ في ذِكرهم بيان التوحيد، وهو تقرير للتوحيد من جهات متعددة؛ لأن كل رسول جاء للتوحيد.

الفائدة الثانية: أن في ذكرهم بيان عاقبة أهل التوحيد وعاقبة المخالف للتوحيد السالك سبيل أهل الشرك وأهله.

في قصص الأنبيـاء تسـلية للمؤمـنين الموحّـدين ووعيد للكفرة المشركين.

الفائدة الثالثة: أن في ذكر قصص الأنبياء تقرير للنبوات، وتقرير النبـوّة وبرهـان النبـوات من مهمـات مبـاحث العقيـدة، وهي في القـرآن مفصّـلة؛ أعـني بـراهين وآيـات الأنبياء.

والخالِف الذي يأتي متأخرا يأخذ قصص الأنبيـاء وينظر في بــراهينهم، ويُــوقن بــأن الله جل وعلا أرسل أنبيــاء وأرسل رسلا، أقول: أرسل أنبياء وأرسل رســلا، على قوله جل وعلا ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾[الحج:52] يعني فالرسول يقع عليه الإرسال والنبي يقع عليه الإرسال لكن باختلاف المعنى كما هو ومقرر في موضعه.

الفائدة الرابعة: أن فيها تقرير أن الله جل جلاله لن يــترك أوليــاءه دون نصر منه ودون إعانة تُظهــرهم على الكفار، فكلّ من كذّب الرسل فحق عليه وعيد الله جل وعلا، وهذا فيه تثبيت للمؤمنين في كل زمن، وفيه شرح صدر أهل

الإيمان وأهل التوحيد في كل زمن، و«**الأنبياء أخوة لعلات** -كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- **الدين واحد والشرائع شتى**» فالإيمان برسول إيمان بجميع الرسل والتكذيب برسول تكذيب بجميع الرسل، فمن آمن برسول واحد بتمام ما يقتضيه الإيمان فإنه يؤمن بغيره من الرسل؛ لأن دينهم واحد ﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾[البقرة: 285]، وهذه الآيات فيها ذكر تكذيب قريش للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ... ووعيد قريش.. وفيها ذكر تكذيب من كذب الرسل صراحة.

وفي قوله جل وعلا ﴿**وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ**﴾ تُبَّع هل كان رسولا أو لم يكن رسولا وإنما كان رجلا صالحا؟ فيها وقولان للمفسرين، والصواب منهما أنه كان رسولا، لقوله جل علا هنا ﴿**وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ**﴾ وتُبَّع كان من أهل اليمن ثم نقم عليهم ما يعملون من الظلم والشرك، ثم أرسله الله جل وعلا، فهو رسول مرسل إلى أهل تلك البلاد، كما هو مبين في موضعه الذي ذكره ابن كثير رحمه الله.

قال ﴿**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ ﴿**حَقَّ**﴾ في القرآن بمعنى وجب، ﴿**فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ يعني وجب وعيدي، ووجوب ذلك واستحقاقه بإيجاب الله جل وعلا ذلك على نفسه، وإيجابه على نفسه إذا كان من جهة الوعد فإنه لا يتخلّف، وأما إذا كان من جهة الوعيد فإنه قد يمن الله جل وعلا على عباده الذين حقّ عليهم وعيده فيؤخرهم إلى

أجل مسمى، يعني فلا يعاقبهم في الدنيا أو قد يخفف عنهم عذاب الآخرة إلى غير ذلك.

والوعيد غير الوعد بينهما فرق معروف.

قال ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ الخلق الأول يراد به إما آدم عليه السلام وإما خلق كل إنسا بحسبه، فآدم عليه السلام لم يعي الله جل وعلا في خلقه ﴿**مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ**﴾[آل عمران:59-60]، أو يعنى به تنقل الإنسان من نطفة إلى ما بعده.

والقاعدة العقلية التي يشترك فيها العقلاء أن الإعادة أسهل من الابتداء ولهذا قال جل وعلا ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾، وقال جل وعلا ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾[الروم:27]، ﴿**أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ يعني وهو هين عليه وأهون بالتفضيل لو فُرض أن أحدهما فيه عسر، وكل منهما هين والابتداء أصعب من جهة العموم، ابتداء الشيء أصعب من إعادته، فإذا ثبت الابتداء بالدلائل الواضحة البينة، فالإعادة أمرها أهون كما أخبر الله جل وعلا.

قال ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ المقصود بالخلق الجديد هذا البعث بعد الموت؛ لأنه جديد، والخلق الأول هو الخلق الجديد بينهما تناسق؛ بل هذا هو هذا من حيث الصفة، وخروج الإنسان ما بين الدنيا إلى البرزخ يكون بعكس الصفتين هذه وهذه، وبيان ذلك أنّ الله جل وعلا

خلق آدم من تراب، من طين، من حمأ مسنون، من صلصال، وشكله جل وعلا وصوره، وكان آخر ذلك أن نفخ فيه من روحه، فاهتز بشرا سويا، فالروح آخر ما دخل في الإنسان، وبها صارت الحياة، وإذا فارق الدنيا تنعكس هذه الحالات، فأول ما يخرج من ابن آدم الروح، هي آخر ما دخلت، ثم إذا دُفن يتنقل بعكس تلك الحالات فيكون حمأ مسنون، ويكون صلصال متحجر، ثم يكون طين، ثم يكون ترابا، ثم يتفتت، إلا من استثنى الله جل وعلا.

بدأ الخلق الجديد مثل الأول تراب ثم يتشكل من التراب بنفس ابتدائه ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا**﴾ [الأنبياء:104]، يبدأ يتشكل، يتشكل، حتى يكون جسدا لا روح فيه، ثم تأتي الروح.

المقصود أن معرفة ابتداء الخلق معين على معرفة كيفية إعادته هذه هي هذه، فمن تدبر واحدة منهما أيقن بالثانية، فكفر الكافرين وتكذيبهم بالبعث واستبعادهم لذلك، هذا من جرّاء ضعف عقولهم وعدم اعتبارهم ونظرهم في حقيقة الأمر، ولو نظروا في خلقهم لتيقنوا أن في البعث حاصل.

ولهذا يكرر الله جل وعلا في القرآن قصة خلق آدم؛ لأن في هذه القصة إثبات البعث بوجه من الأوجه وهو الذي ذكرنا أن هذا هو هذا أن الابتداء مثل الإعادة والإعادة مثل الابتداء.

إلى غير ذلك من الفوائد. نعم

[المتن]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان، بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ✕ أنه قال «**إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل**».

وقوله عز وجل ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما فرّ لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، كما قال في المحتضر ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:85]، يعني ملائكته، وكما قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9]، فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة

أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه باقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك.

فللملك لمة من الإنسان، كما أن للشيطان لمة، وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق[13] ولهذا قال تعالى ههنا ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان.

[التعليق]

في قوله جل وعلا هنا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ سمعت ما فيها وأن المقصود قرب الملائكة، وذكر الآيات على ذلك وهذا تقرير شيخ ابن كثير ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه هو الذي قرر هذا الأصل: وهو أنه ما كان في القرآن من ذكر القرب مجموعا فإن المقصود به قرب الملائكة، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:85]، هذا قرب الملائكة، وهنا قال ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني به قرب الملائكة، وذلك لأن القرب هنا عام في كل إنسان، وقرب الله جل وعلا العام ليس بثابت في النصوص، وإنما ثبت القرب الخاص «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» ونحو ذلك من النصوص، القرب غير المعية. القرب صفة أخرى، وهذا القرب قرب خاص من أولياء الله جل وعلا، وأما القرب العام فأثبته بعض أهل العلم، وفسروا القرب العام بالعلم، وهذا هو الذي ذكره ابن كثير قال: ومن تأوله على العلم فإنما فرّ لئلا

(?)13 خ3281 م2175

يلـزم حلـول أو اتحـاد. هـذا قـول طائفة من أهل العلم أنّ القـرب يفسر إذا ورد عاما -قـرب جميع الخلق كل الإنسـان- يفسر بالعلم وهذا ليس بصواب لأن القرب ما جـاء إلا خاصا كما ذكرنا.

قوله: لئلا يلزم حلول أو اتحـاد. هـذا عطف تغـاير، الحلـول غير الاتحاد كما هو مقرر في العقيدة.

والحلول نوعان: حلول عام وحلول خاص.

والاتحاد نوعان: اتحاد عام واتحاد خاص.

ويفرق بين الحلول والاتحاد بمثال يقرّب بين هذا وهذا إلى أذهانكم.

وهو أن الحلول فيه تمايز بين الشيئين حلّ ولكن لم يصـيرا شيئا واحدا، حيث إنّ الماهية صارت واحدة، بالمثال: الملعقة في كأس ماء إذا أدخلت ملعقة صغيرة في كأس مـاء وغمر الماء ملعقة صارت الملعقة حالّة في الماء، وتنظر إلى هـذا وهذا شيء واحد لكن يمكن الانتقـال، يمكن أن تأخذ هـذه وتفصـلها، مثل الـروح في الجسد شـيء واحد هما شـيء واحد فإذا نظرت إلى الإنسان ما تفـرق نقـول الـروح شـيء والجسد شـيء هو شـيء واحد لكن يمكن انفصـال الـروح عن الجسد، هذا يسمى الحلول.

أما الاتحـاد أن تكـون الحقيقة شـيئا واحـدا بحيث لا يمكن الانفصال، مثل السكر في الماء، أو الشاي في الماء، السكر في الماء إذا تحرك وصـار فيـه، صـار طبيعة مختلفـة، تقـول هذا ماء؟ لا، تقول هذا مـاء في سـكر، ورق شـاي وضـعته في ماء تغير اللون ماء وورق شاي فاتحـدا فصـار له صـفة،

لهذا القائل بالاتحاد أعظم من القائل بالحلول لأنه يقول إن الله جل وعلا في كل شيء.

المقصود أن الله جل وعلا اتحد بكل شيء فصارت الحقيقة واحدة، عين العابد هو عين المعبود كما قال ابن الفارض:

لك صلاتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لِيَ صلت

لأن الحقيقة واحدة عين العابد وعين المعبود واحدة، بخلاف الحلول فهذا هو الذي يفقر بين الناسوت واللاهوت أو بين ماهية الخالق وماهية المخلوق، والبحث في موضعه.

المقصود من ذلك أن قوله ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ هذا قرب الملائكة كما في نظائره. نعم

[المتن]

﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ أي مترصّد.

﴿**مَا يَلْفِظُ**﴾ أي ابن آدم.

﴿**مِن قَوْلٍ**﴾ أي ما يتكلم بكلمة.

﴿**إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[الانفطار:10-12].

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملَك كل شيء من الكلام وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، على قولين.

وظاهر الآية الأوّل لعموم قوله تبارك وتعالى ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾.

[التعليق]

وهذا هو الصحيح، الصحيح أن الملائكة تكتب كل شيء، تكتب ما يؤاخَذ عليه العبد وما لا يؤاخذ؛ لأنها معدة للكتابة ﴿**كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[الانفطار:11-12]، هي معدة للكتابة، فتكتب كل ما يصدر من العبد من الأقوال والأعمال والحساب على الله جل وعلا، وهذا ظاهر من هذه الآية قال جل وعلا هنا ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾:

ودلالتها على التنصيص في العموم ظاهرة.

ودلالتها على الحصر أيضا ظاهرة.

في التنصيص على العموم في الإتيان بـ ﴿**مِن**﴾ قبل النكرة؛ لأن القاعدة المقررة في الأصول أن النكرة في سياق النفي تفيد الظهور في العموم، فإذا سُبقت بحرف زائد في النحو -بحرف جر زائد في النحو أو ما يسميه المفسرون صلة-، فهذا ينقل العموم من ظهوره إلى التنصيص فيه، ومعنى التنصيص أنّه لا يخرج من أفراده شيء، كما قال ﴿**مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ**﴾[14] زيادة ﴿**مِّنْ**﴾.

والثاني الحصر في الآية؛ لأنه أتى بـ ﴿**إِلَّا**﴾ و﴿**إِلَّا**﴾ إذا أتت بعد حرف النفي تفيد الحصر.

---

[14](?) الأعراف:59، 65، 73، 85، هود:50، 61، 84، المؤمنون:23، 32.

فالمقصود أن الصواب هو قول الحسن وجماعة من أهل العلم كبيرة أن الملائكة تكتب كل شيء؛ لأنه هو ظاهر الأدلة.

[المتن]

وقد قال الإمام أحمد[15] حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة اللّيثي عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني ▲ قال: قال رسول الله ✕ «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليها بها سخطه إلى يوم يلقاه**» فكان علقمة يقول: كم من كلام قد مَنَعَنِيه حديث بلال بن الحارث، ورواه الترمذي[16] والنسائي [17] وابن ماجة[18] من حديث محمد بن عمرو به. وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح[19]. وقال الأحنف بن قيس صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها. رواه ابن أبي حاتم. وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾: يا ابن آدم بسطتُّ لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما

---

15 (?) 3469

16 (?) 2319

17 (?) كبرى كما في التحفة 2028

18 (?) 3969

19 (?) خ 6477 م 2988

الـذي عن يمينك فيحفظ حسـناتك، وأما الـذي عن يسـارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا متَّ طُـويت صـحيفتك وجعلت في عنقك معك في قـبرك، حـتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[الإسراء:13-14]، ثم يقول عدل الله فيك من جعلك حسيب نفسك.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خـــير أو شر، حـــتى أنه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت، حتى إذا كان يـوم الخميس عَـرَض قوله وعمله فـــأقر منه ما كـــان فيه من خـــير أو شر، وألقي سائره، وذلك قوله تعالى ﴿**يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[الرعد:39].

[التعليق]

وهذا يخالف ظـاهر كلام ابن كثـير الأول أن الملائكة تكتب ما فيه خير أو شر في أول كلام أو ما فيه ثواب أو عقـاب[20]، هـذه الرواية رواية علي ابن أبي طلحة عن ابن عبـاس فيها أن الملائكة تكتب كل شيء، ورواية علي بن أبي طلحة هي من أصح الروايـات عن ابن عبـاس في التفسـير، بل جعلها

---

[20](?) يقصد قول ابن كثير رحمه الله تعالى: وقد اختلف العلماء هل يكتب الملَك كل شيء من الكلام وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، على قولين.

طائفة من أهل العلم أصح الروايات والبخاري واعتمدها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس في التفسير.

وقد قال الإمام رحمه الله: إن بمصر صحيفة في التفسير يرويها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل إليها ما كان كثيرا.

وعلي بن أبي طلحة إنما وجدها وجادة؛ يعني وجد الصحيفة مكتوبة من تفسير ابن عباس وجادة، وأثبت كثيرون من أهل العلم أن علي بن أبي طلحة أخذها من مجاهد، فتكون الرواية متصلة غير منقطعة، فوجادة طريقها مجاهد عن ابن عباس.

ومجاهد معلوم اختصاصه بابن عباس وفي غيره، حتى قال رحمه الله: عرضتُ التفسير على ابن عباس ثلاث مرات أوقفه عند كل آية أسأله عنها.

فإذا تعارضت الروايات فكثير من المحققين يُرجِّح ما دلت عليه رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرجحة لقوتها وثبوتها واعتماد المحققين أهل العلم في التفسير اعتماد تلك الرواية، البخاري اعتمدها، والإمام احمد اعتمدها، وابن أبي حاتم في تفسيره اعتمدها، وجماعات من المحققين المتقدمين والمتأخرين.

مو ظاهر الكلام!!!

[المتن]

وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله.

[التعليق]

وفي الرواية الأخرى أنه قيل له ابن سرين كره أن يئن المريض[21] فما أَنَّ أحمد حتى مات رحمه الله وكان يشتد به المرض.

عتيد ذكرت لك أنه بمعنى معد، ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ يعني رقيب مُعَدٌّ لذلك.

[المتن]

وقوله تبارك وتعالى ﴿ **وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾

[التعليق]

في قول الله جل وعلا﴿ **وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾.... الموت... حالة ..... الموت ليس بعدم؛ بل هو عبارة عن انفصال تعلق الروح بالبدن..... فالموت في الشرائع ليس أعدميا؛ لأنه مخلوق، والمخلوق موجود، ولذلك هو اسم .... قال جل وعلا ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[الملك:2]، الموت به يكون الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية؛ لأن أنواع الحياة الثلاث الحياة والبرزخ والآخرة، والدنيا فيها تعلق الروح بالبدن، والبرزخ يختلف عن ذلك لأنه فيه تعلق البدن بالروح، والآخرة فيها اقتران البدن بالروح.....

المقصود من ذلك أن الموت حالة ينتقل بها المرء إلى دار الجزاء وهو البرزخ، ولهذا قال جل وعلا ﴿**وَجَاءتْ سَكْرَةُ**

---

[21](?) انتهى الشريط الأول.

﴿الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ فالموت مخلوق وليس عدميا، والذين يعبرون أن الموت بأنه عدميا هذا غلط؛ لأنه قول الفلاسفة... وقوله جل وعلا ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ الموت له سكرات، المقصود بالسكرات ما ... المحتضر ....، تنفصل الروح وانفصال الروح عن البدن هذا أمر قد يكون ... الجسد عن قبول الروح.....

فإذن الله جل وعلا يأمر ملك الموت أو الملائكة -ملك الموت ومن معه- يأمرهم بأن ينزعوا الروح اقتضاء الحياة، وهذا التعلق، واقتضاء هذا التعلق لأجل فساد الآلات ويكون بلا فساد للآلات.

هذا هو قول أهل العلم، والذي عليه السلف، وليس انفصال الروح...، الموت أعدميا...

قال جل وعلا هنا ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ وكما ذكر لك الحافظ ابن كثير أن قوله جل وعلا ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أن فيها قولين:

الأول أنها موصولة وهذا هو الصحيح.

والثاني أنها نافية وهذا أيضا فيه وجاهة؛ لكن الأول أظهر في المعنى وفي التفسير أيضا.نافية يعني ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يعني ذلك شيء لا تستطيع أن تحيد منه.

[المتن]

يقول عز وجل: ﴿وَجَاءتْ﴾ أيها الإنسان ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾؛ أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه. ﴿ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ أي هذا هو الذي

كنت تفر منه، قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

قد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، وقيل الكافر، وقيل غير ذلك.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرتُ أبي ▲ وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر:

مَنْ لاَ يَزالُ دَمْعُهُ مُقَنَّعًا فإنَّه لابُدَّ مَرَّةً مَدْفُوقُ

قالت: فرفع ▲ رأسه فقال: يا بنية ليس كذلك؛ ولكن كما قال الله تعالى ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر ▲ جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فكشف عن وجهه وقال ▲: ليس كذلك ولكن قولي ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

وقد أوردت لهذا الأثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق ▲ عند ذكر وفاته.

وقد ثبت في الصحيح[22] عن النبي ✕ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق من وجهه ويقول «**سبحان الله إن الموت لسكرات**».

وفي قوله ﴿**ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ قولان:

أحدهما: أن ﴿**مَا**﴾ ههنا موصولة، أي الذي، ﴿**كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر، قد حل بك ونزل بساحتك.

والقول الثاني: أن ﴿**مَا**﴾ نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه، وقد قال الطبراني في المعجم الكبير[23] حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي حدثنا حفص عن بن عمر الحدي، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن عن سُمُرَة قال: قال رسول الله ✕ «**مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل جحره، وقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج وله حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات**» ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت.

---

22 (?) خ6510

23 (?) 76922

وقوله تبارك وتعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور، والفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له**» قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال ﷺ «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل**» فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿**وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾ أي ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير، ثم روى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال: سمعت عثمان بن عفان ﷺ يخطب فقرأ هذه الآية ﴿**وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى، وشاهد يشهد عليها بما عملت. وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد.

وقال مطرف عن أبي جعفر مولى أشجع عن أبي هريرة ﷺ قال: السائق الملك، والشهيد العمل. وكذا قال الضحاك والسدي. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: السائق من الملائكة، والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه. وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا.

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾:

أحدها أن المراد بذلك: الكافر. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان.

والثاني أن المراد بذلك: كل أحد من بر وفاجر؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالمنام. وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما.

والثالث أن المخاطب بذلك: النبي ﷺ. وبه يقول زيد بن أسلم وابنه، والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة من هذا القرآن، قبل أن يُوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد.

والظاهر من السياق خلاف هذا؛ بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو.

والمراد بقوله تعالى ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا**﴾ يعني من هذا اليوم ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ أي: قوي؛ لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة؛ لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى ﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا**﴾[مريم:38]، وقال عز وجل ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ [السجدة:12].

[التعليق]

﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ هذا عموم، يَعُمّ كل الأنفس والمقصود بها الأنفس المكلفة، **والسائق** هو الذي يسوقها إلى المحشر، **والشهيد** هو الذي يشهد عليها.

والشهيد فيه آيات كثيرة تدل على المراد بالشهيد ولذلك اختلفوا فيه على أقوال، ومرد اختلاف هذه الأقوال على دليل كل قول من القرآن.

فمثلا مأخذ من قال إن الشهيد هو النفس وليس ملكا خاصا قول الله جل وعلا ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:13-14] ونحو ذلك.

وهذا كثير في اختلاف السلف، إذا كانت الكلمة محتملة فإنهم ينظرون في تفسيرها إلى ما ورد في المعنى في القرآن، فينظرون في الآيات وما دلت عليه الآيات مما يحتمل أن يكون تفسيرا لهذه الكلمة فإنهم يفسرونها به، وهذا هو الأكثر عندهم، الأكثر عند السلف في التفسير أن الكلمة المحتملة يُرجع في تفسيرها إلى القرآن، ولهذا يختلفون في التفسير من جرّاء ذلك، وأقل منه في الرجوع إلى السنة في سبب الاختلاف.

فإذن كلمة ﴿شَهِيدٌ﴾ من حيث هيه دال على أن الإنسان يون شهيد عليه هل هذا الشهيد نفسه أو الملائكة أو كتابه أو الأنبياء وغير ذلك، هذه أقوال بحسب ما جاء في هذه المسألة من آيات، كما في قوله جل وعلا ﴿وَجِيءَ

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الزمر:69]، الشّهداء هنا هم الملائكة، فمن نظر إلى هذه الآية فسّر الشهيد بأنه ملك، والشهداء جمع شهيد وهو كل من يشهد عليه، والذي يشهد على الإنسان نفسه، وأيضا الملائكة تشهد عليه، وأيضا من كان يعاشره في الدنيا يشهد عليه وهكذا.

المقصود من ذلك الانتباه لسبب اختلاف السلف في التفسير، وذلك من جهة النظر إلى بعض ما جاء في معنى الآية التي يريدون تفسيرها، فينظرون في الآيات الأخرى للإيضاح هذا المعنى، لإيضاح هذه الكلمة المحتملة أو التي يعرضون لتفسيرها، ثم بالنظر إلى تلك الآيات يفسرون.

قوله جل وعلا ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ**﴾ المقصود به الإنسان كما هو القول الثاني، هذا هو الظاهر، وهو الصحيح من القوال؛ وذاك لدلالة السياق عليه لأن الله جل وعلا ابتدأ هذه الآيات بقوله ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ**﴾ يعني الإنسان ﴿**مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ**﴾ يعني الإنسان ﴿**رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ الآيات في جنس الإنسان.

وقوله ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ**﴾ الغطاء للعين هذا راجع إلى جهتين:

العين التي هي في البدن، وهي آلة إبصار الروح لأشياء، فهذه لها غطاء، والغطاء هو إمكانيتها، يعني لا يمكن أن

ترى إلا ما جعله الله جل وعلا فيها من القدرة، فإذا كانت في الظلمـــاء لا تبصر الأشـــياء الـــتي في الظلام؛ لأنه ليس لها قدرة.

والـــروح معلقة كما ذكرنا في الـــدنيا بالبـــدن تتعلق الـــروح بالبدن فلا تبصر الروح إلا بإبصار هذه العين.

وأما بـالموت فتكـون حاسة هـذه العين الآلة هـذه تكـون ذهبت، ويكون الإبصار للروح، وإذا كان الإبصار بعيني الـروح فهو غـير عيـني البـدن، فانكشف الغطـاء والحـاجز، وبقي إبصار الروح على إطلاقه، فترى العـوالم وتـرى الملكـوت ما لم يكن يراه تـرى في الظلمـاء أشـياء تـرى الملائكـة، تـرى العالم الغيبي وذاك لأن الغطاء قد انكشف.

المقصـود من هـذا أن الغطـاء هنا الأظهر أنه تعلق الـروح بالبـدن؛ لأن هـذا غطـاء؛ لأن الـروح ليست هي الـتي تبصر وتدرك بنفسـها إنما هي الآلات، والجسم كما هو معلـوم آلة للادراكات وللأحاسيس التي تقع للروح وهذا مبحث واسع.

وفي آيـات كثـيرة يقع الاختلاف، إذا كـان مـردّ الفهم إلى حالة تعلق البدن والروح ووظيفة البدن ووظيفة الروح.

ومن العلماء من يدخل في هذا ويخوض.

ومنهم من يتبع الظاهر ويمسك.

وكلا القـولين موجـود عند السـلف؛ يعـني من يخـوض في هـــذه المســـائل بعلم، ومنهم من يمسك طلبا للســـلامة في الخوض لما لا علم له به.

فإذن الظاهر من قوله تعالى ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ**﴾ ما ذكرنا وأنّ إنسان بالموت يبصر ما لا يبصره في

حال الحياة، فهل ترى مثلا السماء في الليل ظلماء سوداء، وذاك للحجاب الحاجز للعين.

مثل ما تدخل في غرفة مظلمة ولا تنظرُ فيها شيئا، وإنما يكون كتاب ويكون فراش ولكن العين لا تبصر ما في هذه الغرفة المظلمة؛ لأن حاستها محدودة لكن لو كشف ذاك الغطاء لأبصرت كل ما في هذا الظلام، وهذا هو الذي يحصل بالموت؛ فإن الإنسان يبصر بالموت الملائكة ويبصر العذاب ويبصر النعيم، ونحو ذلك مما يكون بعد الممات، نسأل الله جل وعلا لنا ولكم العافية.

[المتن]

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (29)﴾

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم، أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول **﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾** أي: معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أحضرته.

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول **﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾** وقد اختلف النحاة في قوله **﴿أَلْقِيَا﴾**:

فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب، يخاطبون المفرد بالتثنية، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسي اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابنَ عفَّان أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَتْرُكَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعًا

وقيل: بل هي نون التأكيد سُهِّلت على الألف، وهذا بعيد؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ أي كثير الكفر والتكذيب بالحق، ﴿**عَنِيدٍ**﴾ معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك.

﴿**مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ**﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا برّ فيه، ولا صلة ولا صدقة.

﴿**مُعْتَدٍ**﴾ أي فيما ينفقه وبصرفه يتجاوز فيه الحد.

وقال قتادة: معتد في منطقه وسيره وأمره.

﴿**مُّرِيبٍ**﴾ أي شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره.

﴿**الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾ أي أشرك بالله فعبد معه غيره.

﴿**فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**﴾، وقد تقدّم في الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يُسمع الخلائق: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، وبالمصورين، ثم تنطوي عليهم.

وقال الإمام أحمد:[24] حدثنا معاوية هو ابن هشام، حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري ^ عن النبي × أنه قال «**يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وُكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم**».

﴿**قَالَ قَرِينُهُ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذي وُكل به.

﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾ أي: يقول عن الإنسان قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانُه فيقول ﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾ أي ما أضللته.

﴿**وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ أي: بل كان هو في نفسه ضالا، قابلا للباطل، معاندا للحق، كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[إبراهيم:22].

وقوله تبارك وتعالى ﴿**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ**﴾ يقول الرب عز وجل للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي: يا رب هذا أضلَّني عن الذِّكر بعد إذ جاءني. ويقول الشيطان: ﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**

﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾. أي عن منهج الحق. فيقول الرب عز وجل لهما ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي عندي.
﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبيِّنات والبراهين.
﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاضٍ.
﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي لست أعذب أحدا بذنب أحد؛ ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.
[التعليق]
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:
فهذه الآيات مشتملة على ذِكر اسم الله جل وعلا وما يقوله الله جل وعلا للملائكة، وما يقوله القرين من الجن، وفيها أنَّ كل إنسان وُكِّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن؛ وذلك لشدة مقارنته له وأنه لا يفارقه، فالملك لا يفارق ابن آدم، والجني كذلك لا يفارق ابن آدم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «**ما منكم من احد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**»، وثبت أيضا أن كل إنسان معه ملك قرين ومعه أيضا جني قرين، فما كان من خير فهو من لَمّة الملك، وما من شر يفعله العبد فهو تسويل الشيطان.

وقوله جل وعلا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿لَدَيَّ﴾ في القرآن تأتي بمعنى عندي هذا ما عندي عتيد يعني معد.

وقوله جل وعلا ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ هذا كما سمعت فيه وجهان من التأويل:

الأول أن ﴿أَلْقِيَا﴾ مثنى يراد به مثنى، فـ﴿أَلْقِيَا﴾ خطاب لاثنين ويكون القرين هذا هو السائق والشهيد كما مر.

أو يكون ﴿أَلْقِيَا﴾ لفظه لفظ التثنية والمراد به المفرد -كما سمعتَ في القول الثاني- ومخاطبة المفرد فيما يخاطَب به المثنى أو ما يخاطَب به الاثنين، هذا شائع في اللغة كقول الشاعر:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بصدق اللوى بين الدَّخول فحومل

إلى آخر ما قال.

ومن جهة البلاغة فإن الواحد يخاطب مخاطبة الاثنين:

- إذا أريد تفخيمه.
- أو تفخيم الأمر المذكور.

وهذا الثاني هو المراد في هذا الموضع، فإنه المراد تفخيم هذا الأمر وإلقاء روعته في القلب حتى يحذر ويخاف ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

فهذان وجهان من التأويل ولهما نظائر في تفسير القرآن في غير هذا الموضع.

قوله جل وعلا ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ اسم للنار، وأسماء النار مختلفة باعتبار اختلاف الصفات، كما أنّ أسماء

القيامة مختلفة باعتبار اختلاف الصفات، ومن أسماء النار جهنم وصقر ولظى، إلى آخره باعتبار اختلاف صفاتها، والكفار هم في مكانٍ من النار، والنار دركات بعضها فوق بعض، وأبوابها سبعة لكل باب منهم جزء مقسوم، فنار المشركين هذه غير نار المنافقين، ولهذا قال جل وعلا ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾[النساء:145]، ومن طبقات النار نار الموحدين وهي أعلى هذه الدركات، وهي نار الموحدين، وهي التي إذا خرجوا منها بقيت تصطفق أبوابها ليس فيها أحد، كما جاء في الأثر المعروف الذي رواه عبد بن حميد في تفسيره ورواه غيره من حديث عمر وغيره أنه قال «**لو بقي أهل النار في النار [رمل عالج]، لكان لهم يوم يخرجون فيه، وليأتين على النار يوم تصطفق أبوبها ليس فيها أحد**» المقصود بها نار الموحدين، وهذا بيّن.

فإذن نار المشركين الكفار هذه نار باقية يمكثون فيها أبد الآباد خالدين فيها أبدا.

وباقي الكلام يعني كلام ابن كثير واضح لا يحتاج إلى مزيد من التعليق عليه، إلا أنه في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ ههنا سؤال معروف يأتي به أهل العلم في التفسير في مثل هذا الموضع وهو أنهم يقولون: إن ﴿**ظَلَّامٍ**﴾ صيغة مبالغة ﴿**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾، ﴿**ظَلَّامٍ**﴾ فعال صيغة مبالغة من اسم الفاعل، ومن المعلوم أن المبالغة إذا نفيت فإنها لا تعني انتفاء الأصل

فإنما قد يثبت شيئا منها، هل هذا المراد يعني أو نفي المبالغة في الظلم؟ هل يفهم منه أنه قد يقع الظلم؟

الجواب: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، الله جل وعلا هو الحكم العدل، وإنما أُتي بصيغة المبالغة هنا لاستحضار حالة الإنسان فهم كثير الظلم للعباد، ولو جُمع الناس جميعا وجُمع كل ظالم لصار أشد من يظلم في ملكوت الله الإنسان، ولهذا وصف الإنسان بقوله ﴿**وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[الأحزاب:72]، فظلوم صيغة مبالغة من ظالم، فهذا ﴿**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ ينفي على هذا مجرد وقوع الظلم؛ لأنه في مقابلة ما يحصل من الناس جميعا.

والتوجيه الثاني أن صيغة المبالغة هذه تأتي في اللغة لشيئين:

الأول المبالغة في الصفة.

والثاني الاختصاص بالصفة، كما يقال هذا صنّاع وتمار وخمّار وما أشبه ذلك، يُراد أنه متحقق بهذه الأشياء.

فالمنفي إذن هو نسبة الظلم إلى الله جل وعلا فهو ليس إليه سبحانه وتعالى وليس من شأنه وليس من ما يتصف به، يفسره قوله جل وعلا ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**﴾[النساء:40]، وقوله ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:49]، ونحو ذلك من الآيات.

إذن فيكون المنفي أصل وجود هذه الصفة على هذين الوجهين.

[المتن]

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (30) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك لأنه تبارك وعدها أنه سيملؤها من الجِنّة والناس أجمعين، فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقي وهي تقول: هل من مزيد؛ أي هل بقي شيء تزيدونني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث.

قال البخاري[25] عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا حَرْمي بن عمارة، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك ▲ عن النبي ✕ قال «**يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول: قطْ قطْ**».

وقال الإمام أحمد:[26] حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس ▲ قال: قال رسول الله ✕ «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضعَ رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وعِزَّتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشئ**

---

25 (?) 4848

26 (?) 3234

الله لها خلقا آخر، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة».

ثم رواه مسلم[27] من حديث قتادة بنحوه، ورواه أبان العطار[28] وسليمان التيمي[29] عن قتادة بنحوه.

حديث آخر، قال البخاري:[30] حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحِمْيَري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة ▲ رفعه، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان «**يقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط**». ورواه أيوب[31] وهشام بن حسان[32] عن محمد بن سيرين به.

طريق أخرى، قال البخاري:[33] وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام عن منبه عن أبي هريرة ▲ قال: قال رسول الله ✕ «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم؟ قال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء**

---

27 (?) 4848

28 (?) 2848

29 (?) خ7384

30 (?) 4849

31 (?) م2848

32 (?) (طبري 26170)

33 (?) 4850

من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجْلَه فيها فتقول: قط قط. فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا آخر».

حديث آخر، قال مسلم في صحيحه:[34] حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد ▲ قال: قال رسول الله ✕ «**احتجّت الجنة والنار فقالت النار: فِيَّ الجبّارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم. فقُضِيَ بينهما، فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها**» انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد رواه الأمام أحمد[35] من طريق أخرى عن أبي سعيد ▲ بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا حسن ورَوْح قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السَّائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري ▲ أن رسول الله ✕ قال «**افتخرت الجنة والنار فقالت النار: يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة**

---

34 (?) 2847

35 (?) 313

منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها، فتقول: هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقَى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها، فتنزوي وتقول: قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء».

حـديث آخر، وقـال الحافظ أبو يعلى في مسـنده: حـدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا يـونس، حـدثنا عبد الغفـار بن القاسم عن عـدي بن ثـابت عن زر بن حُـبيش عن أبي بن كعب ▲ قال: إن رسول الله ✕ قال «**يُعَرّفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عني، ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضعَ فيها قدمَه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قطْ قطْ. وأنا على الحوض**» قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال رسول الله ✕ «**والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك، وآنيته أكثر من عدد النجوم، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدا، ولا يُصرف فيُروى أبدا**» وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد قال ابن أبي حاتم: حـدثنا أبو سـعيد الأشج، حـدثنا أبو يحيى الحماني عن نصر الجزار، عن عكرمة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ قال: ما امتلأت، قال: تقول وهل فيّ

مكـــان يـــزاد فيّ؟ وكـــذا روى الحكم بن أبـــان عن عكرمة ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، وهل فيّ مدخل واحد قد امتلأت؟ قـــال الوليد بن مســـلم عن يزيد بن أبي مـــريم أنه سـمع مجاهـدا يقـول: لا يـزال يقـذف فيها حـتى يقـول قد امتلأتِ، فتقول: هل في مزيد؟

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هـذا، فعند هـؤلاء أن قوله تعالى ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه، فتنزوي وتقـول حينئذ: هل بقي في مزيد يسع شـيئا؟ قال العـوفي عن ابن عبـاس رضي الله عنهما: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة. والله أعلم.

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للـه، والصـلاة والسـلام على رسـول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنـا، وزدنا علما وعملا يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فسـبق أن ذكرنا أن ســورة ق اشــتملت على ذكر البعث، ودليل البعث والمـوت، وانقسـام النـاس إلى أهل جنة وأهل نار، وسبب دخول أهل النار النـار، وسـبب دخـول أهل الجنة الجنة، وكيف يكون ذلك. هذه موضوعات السورة.

وفي هذه الآية قال الله جل وعلا ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ يعني في ذلك اليوم

﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ والعلماء فيما يُعبَّر عنه بهذه الصيغة صيغة الجمع، مثل نقول أو نرسل أو نحو ذلك، هذه:

- منهم من يقول أن القائل هو الله جل جلاله.
- ومنهم من يقـــــــول إن القائل هم رسل الله من الملائكة في نظائرها.

والأحاديث التي مرت معنا في تفسير هذه الآية:

- منها ما فيه ثم يقال لها هل امتلأت.
- ومنها أن الله جل وعلا هو الذي يقول ذلك.

فالحاصل أن قوله جل وعلا ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ أن القائل لـذلك هو الله جل جلاله إما بنفسه وإما برسله من الملائكة.

وقوله ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ وقول النار ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ هذا هل هو بعد أن يضع فيها الجبار قدمه أم هو قبل ذلـك؟ هل هو بعد وضع القدم أم قبل ذلك؟

وجهــان للتفســير، فالأحــاديث دلّت على أن الله جل وعلا يضع قدمه أو رجله فيها، بعض الأحاديث فيها القــدم وبعض الأحــاديث فيها الرِّجــل، والمعــنى واحد إذ قدمه ســبحانه وتعالى في هذه الأحاديث بمعـنى ما جـاء في غيرها بلفظ رجله حـــتى يضع الله جل وعلا فيها قدمه أو فيها رجلـــه، ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ هنا ﴿هَلْ﴾ هل هي طلب للزيادة؟ يعني أنها ترغب في مزيد يُلقى فيها لأنها لم تمتلئ، فمن ذهب إلى التفسير قال: إنها لا تمتلئ حتى يضع الله جل وعلا فيها قدمَه؛ يعني أن النار تطلب ذلك ثم يضع الجبار فيها قدمَه حتى تقول قط قط؛ يعني يكفيني يكفيني.

والوجه الثاني من التفسير أن هل من مزيد أنه قول النار لبيان أن ما فيها يكفيها، وذلك بعد أن يضع الله جل وعلا فيها قدمه، فتقول هل بقي في من مزيد؟ فيكون على هذا الوجه ليس طلبا للمزيد لأنه هو بيان لأنه ليس فيها مكان لزيادة.

وكما سمعت في الأحاديث أن الله جل جلاله وعد النار بملئها ووعد الجنة بملئها، أما الجنة فينشئ الله جل وعلا لها خلقا حتى تمتلئ، والنار لا تمتلئ حتى يضع الله جل وعلا فيها قدمَه أو رجله فتقول قدني قدني أو قط قط يعني يكفيني ذلك.

وهذا فيه التحذير والترهيب من النار ومن أسباب الدخول فيها؛ لأن قوله ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ**﴾ معنى ذلك أن جهنم أوسع ممن يدخل فيها، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنّ الناس منهم تسعة وتسعون وتسع مائة (999) إلى النار وواحد إلى الجنة، وهذا يعطي العبد المسلم ما يجب أن يعمر قلبه من خوف الله جل وعلا وتقواه وإجلاله والبعد عن النار وما يقرب إليها من قول وعمل، لأن المسألة عظيمة والنار عذابه جعل الله جل وعلا فيها المتكبرين وجعل فيها المسرفين وجعل فيها الظالمين، وهؤلاء منهم من يخلد فيها، ومنهم إذا كان أهل التوحيد من لا يخلد فيها، ومنهم إذا كان من أهل التوحيد من لا يخلد فيها فهي عذاب يجب الحذر منه أعظم الحذر لأنه عذاب يطول ولو كان مآله في الموحد إلى خروج لكنه يطول جدا، كيف يوم القيامة فقط وهو يوم واحد يستمر خمسين ألف سنة والناس فيه

قبل أن يكــون أهل الجنة إلى الجنة وأهل النــار إلى النــار، وذلك كما قال جل وعلا ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ**﴾[المعارج:1-6]، يعني ذلك اليوم ﴿**بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾ فهو يوم الحزن ويوم الافتراق إلى فريق في الجنة وإلى فريق في السعير.

من حيث دلالة الأحاديث على صفة الله جل وعلا فيها إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى، وهذا على القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة أنه إثبات من غير تكـييف ولا تمثيل كما قال ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:11]، فقدمه سبحانه وتعالى صفة من صـفاته لا تُمثَّل بصفات خلقه وليست كقدم أحد من خلقه، ومعنى القدم في اللغة ما يتقدّم، فإذا كان الشيء له صـفة الحركة فما يتقدّمه يقال له قدم، والإنسان قدمه غير قدم الحيوان.

والمقصـود أن لفظ القـدم لا يعـني صـفة معينة للجارحة على نحـو ما -يعـني من حيث دلالة اللغة عليهـا-، وإنما لفظ قـدم يـدل على أن من اتّصف بجنس صـفات الحركة فإنه له قدم؛ بمعنى له صفة ذاتية تتقدمـه، وهـذا من حيث المعـنى العام الكلي.

ومن القواعد المقـررة عنـدنا في الأسـماء والصـفات أن المعاني الكلية لا توجد إلا في الذهن، وأما في الخارج فلابد لها من تخصيص وإضافة يحدّد المعنى.

ولهذا نقول: إن إثبات الصفات إثبات معنى لا إثبات كيفية، والله جل وعلا أعلمك بنفسه سبحانه وتعالى، نُمِرُّ هذه الصفات كما جاءت من غير تكييف لها ولا تمثيل.

[المتن]

وقوله تعالى ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ قال قتادة وأبو مالك والسدي: ﴿**وَأُزْلِفَتِ**﴾ أُدنيت وقُرِّبت من المتقين، ﴿**غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ وذلك يوم القيامة وليس ببعيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آت قريب.

﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ**﴾ أي رجّاع تائب مقلع.

﴿**حَفِيظٍ**﴾ أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا يَنْكثه.

وقال عبيد بن عمير: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل.

﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾ أي من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله عز وجل، كقوله ✕ «**ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه**».

﴿**وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**﴾ أي ولقي الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه.

[التعليق]

﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ من أسباب الإكرام ألا يتعب الداخل الذاهب إلى الجنة فهي تقرب منه، ﴿**وَأُزْلِفَتِ**﴾ يعني قربت ﴿**الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾.

وقوله ﴿**غَيْرَ بَعِيدٍ**﴾ يعني البعد الذي يشق عليهم، وإلا فمن المعلوم أن جهنم عليها صراط، وأن من أذِن الله بأن يجوز الصراط فإنهم يظلون في عرصات الجنة؛ يعني في

الساحات التي تكون قبل الجنة، وهذه تسع أهل الجنة جميعا، فهي بعيدة بالنسبة لسعة المكان، لكنها تزلف إليهم وتقرب؛ بمعنى أنهم لا يتعبون بقصد دخولها ولا للمسير إليها.

و﴿الْجَنَّةُ﴾ سميت لذلك لأنها مستترة إما عن الناس في الدنيا، وإما أنها مستترة عمن هو خارجها، وهذا يعني أهل النار أو أن من في العرصات لا ينظر إلى داخل الجنة لأنها مستترة، وهذه المادة تشعر أن أهلها في نعيم لا يعرف عنهم من هم خارجها، يعني لا ينظرون إليهم في نعيمهم وما هم فيه؛ لأن الجنة مستترة.

وهذا تبع لاشتقاق مادة الجنة، فإن هذه المادة مشتقة من الاجتنان وهو الاستتار، وتصريفاتها تدل على ذلك، كما سمي الجن جنا، وكما سميت الملائكة جِنّة، وكما قيل للجنين في بطن الأم جنينا، وكما قيل للجنون أيضا جنونا، وأشباه ذلك لأن الجميع يجمعه الاستتار والحَجب.

فإذن هذه المادة فيها الخفاء والاستتار فإما أنها سميت بذلك لخفائها واستتارها عن الناس الذين يطلبونها في الدنيا، وإما لأنها تستر من فيها فلا يعرف ما يفعل في داخلها ولا يعرف النعيم الذي فيها.

وهذا الثاني يشمل الجنة أيضا في الأرض التي تسمى جنة كما في قوله جل وعلا ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[القلم:17]، جنة الأرض سميت بذلك من الاجتنان وهو الاستتار؛ لأن الداخل فيها يستتر ولا يعرف من الخارج، لكثرة أشجارها الطويلة الملتفّة وهذا ينبئ عن مزيد نعيم في داخلها.

والمتقــون جمع المتقي، والتقــوى في القــرآن على ثلاث مراتب:

مرتبة عامة لجميع من يستحق الجنة، وهي تقوى الله بالتوحيد وترك الشرك والبراءة منـه، وهـذه جـاءت في مثل قوله جل وعلا ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾[الحج:1]، ونحو ذلك من الآيات التي فيها مخاطبة الخلق جميعا بتقوى الله، ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ**﴾[النساء:131]، التقوى الـتي خـوطب بها النـاس جميعا هي: أن يتقـوا الله بإتيـان التوحيد وبالبعد عن الشرك والبراءة منه واتباع الرسل، هـذه التقوى التي لن يدخل الجنة إلا من هي فيه.

المرتبة الثانية للمتقين الذين تركوا الحرام وأتوا بالواجب، فاتقوا الله جل جلاله بتركهم المحرمات وبامتثـالهم للواجبات، وهؤلاء من أهل الجنـة، ومـرتبتهم أرفع من مرتبة الــذين قبلهم؛ لأن أولئك قد يكونــون ظــالمين لأنفســهم، وهؤلاء مقتصدون.

والمرتبة الثالثة للمتقين الذين يعظم في قلوبهم ذكر الله جل وعلا، فيتقونه في خلواتهم وفي سرهم وفي علنهم فيخشون لقاءه، كما جاء في الحديث «**ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»، ومنه: لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما ليس بأس به حذرا مما فيه بـأس. وهـذه مرتبة الخاصة من المؤمنين وهم السابقون بالخيرات.

إذن قوله ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ قد يكون المتقي ظالما لنفسـه، فتكـون التقـوى هنا بمعـنى التوحيد والـبراءة

من الشرك، فيكون المتقي هو الذي أتى بالتوحيد وتبرأ من الشرك، فلا يخص المتقي بمرتبة دون مرتبة، وإنما بحسب الحال، والظالم لنفسه من أهل الوعيد، والمقتصد والسابق بالخيرات من أهل الوعد وهم درجات عند الله.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ﴿أَوَّابٍ﴾ أتت في القرآن في عدة مواضع كما في هذه الآية، وفي قوله جل وعلا ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء:25]، ونحو ذلك، والمفسرون من السلف:

منهم من يفسرها بعمومها.

ومنهم من يفسرها بخصوصها يعني بخصوص فعل معين.

والصواب في ذلك العموم هو أن الأواب هو كثير الرجوع إلى الله جل وعلا، لأن أواب صيغة مبالغة منم اسم الفاعل آيب، والآيب هو الراجع، والأواب هو الرجاع كثير الرجوع، فهو الذي إذا أذنب استغفر، أو كثير الرجوع إلى الله جل وعلا بذكره وأنه لا يترك ذكر الله جل وعلا إلا لذكره، فهو كثير الرجوع إلى الحق سبحانه وتعالى بالعبادة وترك المحرم وبالطاعات المختلفة وبالذكر والنوافل إلى آخره.

هذا معنى عام؛ هو من يترك معصية الله إلى طاعة الله، أو الذي يرجع من الغفلة إلى التذكر واليقظة، فيكون معنى ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ يعني لكل رجاع عن معصية الله إلى طاعته أو عن غفلة عنه إلى ذكره.

ومنهم من قال إن الأواب هو الذي يصلي الضحى، وذاك لقول النبي ﷺ في حديث زيد ابن أرقم وفي حديث غيره فيما رواه مسلم وغيره «صلاة الأوابين....»

....الأواب هو الذي صلي الضحى فقط وإنما من صفاته أن يكون كذلك، فسر الأواب بهذا هو تفسير ببعض الأفراد، والسلف قد يفسرون الكلمة ببعض أفرادها رعاية لحاجة المستمع، فيترك بعضهم المعنى العام إلى معنى فردي خاص لحاجة المستمع إلى المعنى الفردي المخصص لوعظه أو لتذكيره أو حثه على هذه العبادة في نفسها أو ما شابه ذلك من الأغراض.

ومنهم من يقول إن الأواب هو كثير الاستغفار في مواضعها، كثير الاستغفار لأن المستغفر راجع عن الغفلة عن التذكر مثل ما مر معك هنا أن الأواب هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يقوم عنه حتى يستغفر الله جل وعلا، وهذا لأنه قد يكون في المجلس غفلة فيكون استغفاره إياب منه من الغفلة إلى التذكر.

المقصود أن المعنى العام لكلمة أواب هو الذي ينبغي حمل الآية هذه وحمل غيرها عليه، وهو كثير الرجوع إلى الله، إما من المعصية إلى الطاعة، أو من الغفلة إلى التذكر، أو مما هو أدنى إلى ما هو أعلى، كلٌّ بحسبه.

[المتن]

﴿**ادْخُلُوهَا**﴾ أي الجنة ﴿**بِسَلَامٍ**﴾، قال قتادة: سلموا من عذاب الله عز وجل، وسلم عليهم ملائكة الله.

وقوله سبحانه وتعالى ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**﴾ أي يخلدون في الجنة أبدا فلا يموتون أبدا ولا يضنعون أبدا ولا يبغون عنها حولا.

وقوله جلت عظمته ﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا﴾ أي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أُحضر لهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقيّة عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرّة قال: من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال كثير: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولنّ أمطرينا جواري مزيّنات.

وفي الحديث عن ابن مسعود ▲ قال: إن رسول الله ✕ قال له «**إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخرّ بين يديك مشويا**».

وقال الإمام أحمد:[36] حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي بكر الصديق ▲ عن أبي سعيد الخدري ▲ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «**إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسِنُّه في ساعة واحدة**» ورواه الترمذي[37] وابن ماجة[38] عن بُنْدار عن معاذ بن هاشم به، وقال الترمذي: حسن غريب وزاد كما اشتهى.

وقوله تعالى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، كقوله عز وجل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:26]، وقد تقدم في

---

36 (?) 39

37 (?) 2563

38 (?) 4338

صحيح مسلم[39] عن صُهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم، وقد روى البزّار وابن أبي حاتم من حديث شَريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك ▲ في قوله عز وجل ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ قال: يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة.

وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا، فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك ▲ يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ✕، فقال رسول الله ✕ «**ما هذه**؟» فقال: هذه الجمعة فُضّلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، ولكم فيها ساعة، لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي ✕ «**يا جبريل وما يوم المزيد**؟» قال عليه السلام: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كُثُب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحُفّت تلك المنابر من ذهب، مكلَّلة باليواقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكُثُب فيقول الله عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة،

181(?)39

لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم[40] وله طرق عن أنس بن مالك.

وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبسط من هذا، وذكر ههنا أثرا مطولا عن أنس بن مالك ▲ موقوفا، وفيه غرائب كثيرة.

وقال الإمام أحمد:[41] حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ▲ عن رسول الله ✕ قال «**إنّ الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء مابين المشرق والمغرب فتسلم عليه، فيرد السلام فيسألها من أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد. وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان؛ إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**». وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن درّاج به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

---

40 (?) 1185

41 (?) 375

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)﴾

يقول تعالى ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم**﴾ قبل هؤلاء المكذّبين.

﴿**مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا**﴾ أي كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها، أكثر مما عمروها.

ولهذا قال تعالى ههنا ﴿**فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أثّروا فيها. وقال مجاهد: ﴿**فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ**﴾ ضربوا في الأرض. وقال قتادة: فساروا في البلاد؛ أي ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها، ويقال لمن طوّف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس:

لقد نَقّبتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإيَّاب

قوله تعالى ﴿**هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ أي هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره، وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل، فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص.

وقوله عز وجل ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى**﴾ أي لعبرة، ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ أي لب يعي به، وقال مجاهد: عقل ﴿**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ أي استمع الكلام فوعاه وتعقّله بعقله وتفهمه بلبّه، وقال مجاهد ﴿**أَوْ أَلْقَى**

السَّمْعَ﴾ يعني لا يحدّث نفسه في هذا بقلب. وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه، إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب، وهكذا قال الثوري وغير واحد.

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك الحق المبين.

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

في هذه الآية وهي قوله جل وعلا ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ في القرآن يكثر ذكر عذاب الرب جل وعلا للمكذّبين للرسل، وهذا النّوع مما يكون في القرآن كثيرا له فوائد:

من فوائده أنّ أعداء التوحيد هذا مصيرهم عند الله جل وعلا، وأنّ لهم العذاب في هذه الدنيا، ولهم العذاب والخزي يوم القيامة، وهؤلاء -أعني كفار قريش- هم من جنس من سبق في معاداتهم للتوحيد وأهله فلهم من المصير مثل مصير من سبق، وهذا يظهر في قول الله جل وعلا في سورة القمر بعد أن ذكر عذابه الذي أصاب أقواما كذبوا الرسل قال في آخرها ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾[القمر:43].

فإذن في ذِكرِ تكذيب من سبق لرسلهم وذِكر العذاب الذي أصابهم فيه مخاطبة لكل من كذّب الرسل وكل من كذب بالقرآن أنّه كافر مخاطَب بهذا الوعيد وهذا تشديد في حقه حتى يرتدع لقوله ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾.

وكقوله جل وعلا ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ [الذاريات:53].

والفائدة الثانية أن الأقوام هذه لها قوة ولها بطش ولها جبروت فلهم صفات مختلفة، منهم من حفر في الصخر، ومنهم من أعلى البناء، ومنهم ومنهم؛ ولكن هذه الصور لا تغني من عذاب الله شيئا، كما قال جل وعلا مثلا في سورة الفجر ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾[الفجر:6-8]، هنا ﴿**لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾ يعني في القوة فقريش قالت أم يقولون نحن جميعا ننتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر، وقال جل وعلا ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾[الفجر:7-9]، يعني حفروا الصخر وقريش لم تبلغ هذا أن تحفر في الصخر بيوتا، وكذلك ما شابه هذا من الآيات.

فإذن فيها تنبيه على أن من كان أقل قوة فإنه أولى أن يخاف من عذاب الله جل وعلا لهذا قال جل وعلا هنا ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ**﴾ فليس ثَم محيص ولا مفر ولا مهرب من عذاب الله جل جلاله.

ومن الفوائد من ذكر عذاب الله جل وعلا لمن سبق أنّ يُعلم أنّ حق الله جل وعلا هو ما جاءت فيه الرسل، وأن الرسل لهم آيات ومن آياته أنّ الله جل وعلا أظهرهم على أعدائهم، ليس كل رسول قد أتى بآية مستمرة؛ ولكن جل وعلا حين أيّد الرسل بالآيات والبراهين جعل من ذلك أن يظهرهم على أعداءهم، ولهذا ما من أحد ادّعى النبوة وادعى الرسالة إلا أخمد الله دعوته وأخمد الله ادعاءه فلم يظهر على شيء وإنما يتبع في طائفة قليلة وإما أن يستأصلوا وإما أن يبقوا لكن لا على شكل الظهور لكن على جهة الإذلال والمحاربة من الناس.

إذن في ذكر العذاب آية من الذي عذب قومه ولهذا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ حين قال في غزوة بدر ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[القمر:45]، تلقّى بهذا قوله في سورة القمر ﴿**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[القمر:44-45]، هذا من آيات الأنبياء، فآيات الرسل متنوعة يعني الدالة على صدقهم في رسالاتهم ومنه الظهور، إذا نظرت في هذا الزمن مثلا وجدت كثرة أتباع موسى عليه السلام من اليهود، فنعلم به أن الله جل وعلا أظهر موسى على من عداه في زمنه، وهذا دليل على صدق رسالته، وإذا نظرت إلى أتباع عيسى عليه السلام من النّصارى وجدت أنهم كثرة وظهروا على من عداهم، هذا دليل على صدق رسالة عيسى عليه السلام، وهؤلاء يقولون نحن أتباع رسول ونبي وأتباع عيسى يقولون نحن أتباع رسول أو أتباع نبي من أنبياء الله، ولا تنظر في هذا إلى أنهم

حرفوا وبدلوا وخرجوا عن دين الرسول، المقصود وجود الاتباع ووجود الظهور.

كذلك محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما رفع الله ذكره فإنّ قومه وأتباعهم ظهروا على الناس، فلهذا كان من الآيات الظهور، وهذه الآية نفعت في آية هود عليه السلام؛ لأن كثيرين من أهل العلم ليس له آية إلا الظهور على قومه، وذلك في أنه جل وعلا قال في سورة هود عن قوم هود قال فيها ﴿**قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ**﴾[هود:53-54] ذكر أكثر المفسرين أن آية هود هي مواجهته لهم وهو واحد أو معه قلة وأولئك كثرة ومعهم القوة والعتاد إلى آخر ذلك، فكانت آيتهم عليهم أن ظهر عليهم باللسان وقوي عليهم وواجههم وهو احد، ولهذا قال فيها ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:57].

فإذن هنا قصص من الأنبياء وما يذكر من العذاب له فوائد متنوعة، وقد ذكر هذا طائفة من أهل العلم تارة في كتب علوم القرآن وتارة في القواعد العامة للتفسير.

بالنسبة للمعنى واضح ما فيه إشكال، ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ**﴾ القرن هو الجيل من الناس، الجيل هو القرن، بعض أهل العلم حدد مائة سنة لكن هذا تقريبي القرن هو الجيل جيل يتبع جيل لقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ

«**خير الناس قرني**» يعني الذين قارنوهم «**ثم الذين يلونهم**» يعني التابعين ولو لم يستمروا إلى مائة سنة.

..النظر أحد ما تشمله الآية وهو أولها وأولاها، يعني تفسير (المزيد) في النظر ثابت على النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما رواه مسلم في صحيحه ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:26]، وفي قوله ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ قالوا الزيادة النظر لوجه الله الكريم، وقد يكون غير هذا؛ لأن الآية فيها إطلاق﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾، يدخل فيها ما رواه أبو سعيد في هذا الحديث الذي مر معنا، المرأة، الحور، وأشباه ذلك.[42]

والحديث الآخر الذي مر معنا حديث الإمام أحمد قال: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة، الحسن عن ابن لهيعة الصواب فيه أنه حسن؛ لأن الحسن الأشيب هذا شيخ الإمام أحمد الحسن الأشيب هذا دخل مصر وخرج منها على التحقيق قبل أن يختلط ابن لهيعة، لهذا يكثر الإمام أحمد من الرواية على ابن لهيعة من طريق العبادلة ومن طريق الحسن الأشيب هذا معروف في ترجمة ابن لهيعة وفي ترجمة الحسن، وما بعده من حديث دراج بن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري هذه الترجمة مصرية، ولهذا ابن كثير نبهك إلى أن هذه الترجمة وهذا الحديث معروف من حديث المصريين يرويه من ينتقي حديث المصريين، ينتقي صحيح حديث المصريين وجيده وهو عمرو بن الحارث؛ لأن ابن وهب يروي عن عمرو بن الحارث جيد الحديث، وعمرو بن الحارث

---

[42](?) انتهى الشريط الثاني.

أحد العلماء مصر الكبار الذين اجتمع عندهم حديث لمصريين .

المقصود تنتبه على أن هذه الترجمة دارج عن ابن أبي الهيثم عن سعيد الخدري لا يطلق القول بتضعيفها وإنما صححها طائفة من الأئمة في عدد من الأحاديث، وابن كثير لمح إلى هذا حيث ذكر رواية الحسن عن ابن لهيعة، ثم أنها رويت من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، وهذه الترجمة رويت بها أحاديث كثيرة كحديث موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أدعوك وأذكرك به إلى آخره. وقد صحح إسناده الحافظ النّسائي لأنه من رواية ابن وهب عن عمر بن الحارث عن دارج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد وعمر ابن الحارث ينتقي وابن وهب انتخب جيد حديث المصريين، وهذا الحديث يعني هذا الكلام ما نحب أن نطيل الدروس في علل الأحاديث والتراجم إلى آخره.

طبعا دارج عن أبي الهيثم هذه الأصل فيها الضعف لكن منها ما هو صحيح أُنتقي.

[المتن]

وقوله سبحانه وتعالى ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ فيه تقرير للمعاد؛ لأن من قدر على خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأوْلى والأحرى، وقال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائن الله- خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم

السابع، وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:33].

وكما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر:57]، وقال تعالى ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾[النازعات:27].

وقوله عز وجل ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا.

[التعليق]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ هذا أيضا فيه مثال في أن الله جل جلاله يذكر في كتابه خلق السموات والأرض بعد بيان تكذيب الرسل وبعد المواعظ؛ وذاك لأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما جاء في قوله جل وعلا ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:57]، وإذا كان كذلك معنى ذلك أن عبادة الناس أو إهلاك الناس أو إعادة خلقهم أو أشباه ذلك أنها سهلة، لهذا قال هنا ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ يعني من إعياء ولا تعب.

فإذن إهلاك الناس وإعادة بعثهم هذا من باب الأسهل والأهون كما قال جل وعلا ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم:27]، سبحانه وتعالى. نعم

[المتن]

وقوله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاةَ المفروضة قبل الإسراء. ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولا، ثم نُسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «**أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به.

وقوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي فصلِّ له، كقوله ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:79].

﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو التسبيح بعد الصلاة.

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: جاء فقراء للمهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. فقال النبي ﷺ «**وما ذاك؟**» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق قال ﷺ «**أفلا أعلمكم شيئا إذا**

فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين» قال: فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال ﷺ «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى ﴿**وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أمامة رضي الله عنهم، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيانَ عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر. وقال عبد الرحمن: دبر كل صلاة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به زاد النسائي ومطرّف عن أبي إسحاق به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني قال حدثنا ابن فضيل عن رشدين ابن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ ليلة عند رسول الله ﷺ فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال: «**يا ابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود**»، ورواه الترمذي عن أبي هشام الرّفاعي عن محمد بن فضيل به، وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنهما وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث

عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما، فأما هذه الزيادة فغريبة لا تُعرف إلا من هذا الوجه، ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه. والله أعلم.

[التعليق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

ففي هذه الآيات قال الله جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾.

الصبر الذي أُمر به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخُصّ به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في القرآن على نوعين:

- الصبر العام.
- والصبر الجميل.

والصبر العام: معروف المعنى لديكم، وهو الذي أُمر به في هذه الآية، وهو أن يصبر على ما يقولون، ويدخل في معناه ألا يظهر الحَزَن ولا يكون عنده جزع لا باللسان ولا بالعمل على ما قالوا، والصبر من الحبس، ففيه حبس اللسان عن التشكي وحبس القلب عن الجزع، وهذا مناسب لهذا الموضع ففي قوله جل وعلا هنا ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾ الصبر العام وهو أن يحبر القلب عن الجزع فيما قالوا الحزن عما قالوا، ويحبس اللسان أن يقول شيئا لا ينبغي تجاه أقوال المشركين.

والنوع الثاني هو الصبر الجميل: قد أمر به في مواضع كقوله جل وعلا ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (**

6) ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[المعارج:5-7] ونحو ذلك، والصبر الجميل هو أعلا مراتب الصبر بأن يكون القول حسن، وأن يكون ما في القلب حسن.

لأن الأول فيه الحبس حبس اللسان عن التشكي أو عن مقابلة المشركين بما لا ينبغي، وحبس القلب عن الجزع، والصبر الجميل مرتبة عليا في أنه لا يحدث سخط؛ بل يحبس ويقول الجميل، وكذلك لا يحبس القلب عن الجزع فقط؛ بل يحبسه عن الجزع ويظن الظن الجميل بالله جل جلاله، فلا يحزن ولا يقنط ولا ييأس، كما قال جل وعلا في آيات ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل:127]، وأشباه ذلك هذا هو مقام المتقين ومقام أولي العزم من الرسل كما قال جل وعلا ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف:35]، يعني الصبر الجميل، وهذا لا يكون إلا عند أولئك الذين أمر الله جل وعلا قلوبهم بمحبته ومعرفة أسمائه وصفاته، فيكون صبرهم كأنه بلا مبالاة؛ لوثوقهم بما عند الله جل جلاله وحُسن ظنّهم بالله جل جلاله وأن اطمئنانهم بالإيمان جعلهم لا يضطربون في قول ولا في عمل ولا في حركة قلب، وهنا في هذه الآية أمر بالصبر على ما قالوا؛ لأن ما قالوه هو الذي كان في مقاصد هذه السورة في ردهم للرسالة وتكذيبهم بالبعث بعد الموت.

وأما التسبيح فهو زاد الصابر؛ لأن الصبر بلا عبادة ولا إقبال على الله جل جلاله، هذا قد يضعف ويضعف حتى ينعدم، فإذا صبر العبد وصبّر نفسه وأقبل على عبادة الله جل جله ثبت على ذلك الصبر وحسن ظنه بربه وأقبل عليه بكليته وبجماع أحوال قلبه، واستقام على الصبر وعلى مقتضاه.

فلهذا أمر بالتسبيح بعد الصبر لهذا الغرض، وقال جل وعلا هنا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ والتسبيح بحمد لله يكون على أنحاء:

منها أن يسبح قالوا التسبيح بالحمد متصلا به؛ أعني يقول مثلا: سبحان الله وبحمده، سبحان الله وبحمده، سبحان الله وبحمده. وهذا هو ظاهر الآية لأنه قال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعني سبح تسبيحا مقترنا بحمد ربك، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:44]، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ويكون المعنى هنا أسبح الله جل وعلا حامدا له.

والصورة الثانية: أن يكون التسبيح مستقلا والحمد مستقلا فيكون سبحان الله سبحان الله سبحان الله، ثم الحمد لله الحمد لله الحمد لله، أو يقرن بينهما بالواو سبحان الله والحمد لله سبحان الله والحمد لله إلى آخر ذلك.

الصورة الثالثة: فيما يكون فيه تسبيح بالحمد أن يكون مصليا؛ لأن الصلاة فيها حمد الله جل وعلا والثناء عليه، وفيها تسبيحه، فيبتدئ الصلاة بالحمد ثم يسبح في الركوع ثم يسبح في السجود وهكذا.

ولذلك اختلف السلف فيما سمعت في التفسير، اختلفوا في التسبيح هنا في ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ هل المراد به الصلاة أو يراد به التسبيح الذي ذكرت سبحان الله سبحان الله يعني القول، وأشباه ذلك.

وهذا مردّه إلى النظر إلى بعض الجهات، فأعلى ما يكون به التسبيح بحمد لله جل وعلا هو التسبيح الواجب للصلاة لأنه هنا أمر به قال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ إذا كان من أنحاء التسبيح وهو النوع الثالث وهو

التسبيح والحمد في الصلاة، وكان مأمورا به هنا، والأمر للوجوب، فيفسر التسبيح بما هو واجب في الشرع، وهو الصلاة.

ولهذا ذهب من ذهب أن المراد بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل وأدبار السجود أنها الصلاة؛ لأنه مأمور به، والتسبيح الآخر إنما هو مستحب وليس واجبا ومأمور به أمر استحباب، فمن نظر هنا إلى أن الأمر أمر للوجوب جعل التسبيح هنا في قوله ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ أنها الصلاة المفروضة، ومن نظر إلى أنه التسبيح المستحب، فجعل ذلك الصلاة النافلة أو التسبيح المعروف.

والظاهر من سياق الآية أن التسبيح هنا المأمور به يشمل الواجب والمستحب، فيشمل الصلاة الفرض الفجر والعصر والليل يشمل المغرب والعشاء، ويشمل أيضا صلاة النافلة كما مر معه، ويشمل أيضا قول سبحان الله سبحان الله وقول الحمد لله الحمد لله إلى آخر ذلك؛ لأن الأمر قد يكون للوجوب وقد يكون للاستحباب، فصرفه إلى الواجب دون غيره هو بعض أفراده.

ومن المتقرر في أصول التفسير أن اللفظ يُصرف في التفسير إلى جميع أفراده إلا بدليل فإذا كان ثم دليل على الاقتصار على بعض الأفراد ساغ القصر، وإذا لم يكن ثم دليل فيبقى اللفظ على عموم ما تدل عليه ألفاظه.

التسبيح والحمد متكاملان ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾:

التسبيح تنزيه الله جل وعلا عن النقائص، تنزيه الله جل وعلا عن النقص.

والحمد إثبات الكمال لله جل وعلا والثناء عليه بأنواع الكمالات.

وفي التسبيح والحمد يكون التنزيه وإثبات الكمالات بخمسة أشياء دلّت عليها آي القرآن والسنة الصحيحة:

فمنها التنزيه عن النقائص وإثبات الكمالات للرب جل وعلا في ربوبيته لخلقه، وهذا تَم فيه تفصيل.

والثاني تنزيه الله جل وعلا عن النقائص وإثبات الكمالات له في استحقاقه للعبادة وحده دونما سواه هذا في الألوهية.

والثالث في الأسماء والصفات تنزيه الله جل وعلا عن النقائص في أسمائه وصفاته، وإثبات الكمالات له الكمال المطلق في ذلك.

والرابع تنزيه الله جل وعلا عن النقائص وإثبات أنواع الكمالات له في أمره الديني وشرعه المنزل.

والخامس تنزيهه عن النقائص وإثبات الكمالات له في أمره الكوني وقضائه وقدره.

وهذه في كل منها آيات من القرآن في التسبيح وفي الحمد، فإذا نظرت مثلا إلى قول الله جل وعلا ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾[الكهف:1] هذا ثناء على الله جل وعلا راجع إلى الكمالات في أي شيء؟ في إنزال الكتاب وهو النوع الرابع فيما ذكرت يعني الأمر الديني والشرعي.

قال في سورة غافر مثلا ﴿**فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[غافر:65]، هذا في استحقاقه للعبادة دون ما سواه.

﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾[الأنعام:1] هذا في الربوبية، وهكذا في أشياء في التسبيح والحمد.

التسبيح والحمد متكاملان تسبيح تنزيه عن النقائص، إذا قلت سبحان الله معناه أنك تقول ربك: تنزيها لك يا ربي عن أي

نقصٍ، فتنزه الله جل وعلا عن النقص في الربوبية من أن يكون معه شريك أو أنه لا يحسن تدبير هذا الكون، أو أن يقع في ملكه ما لا يشاء وأشباه ذلك، وتثبت له الكمال في هذا وهو كما اتصافه بالربوبية والألوهية إلى آخر ذلك.

فالتنزيه هو التسبيح، وإثبات الكمال هو الحمد، الناس قصروا أعني العامة قصروا الحمد على بعض النوع الخامس؛ النوع الخامس الحمد لله يعني الثناء على الله على أمره الكوني وقضائه وقدره فهم إذا جاءهم ما يسرهم قالوا الحمد لله وإذا جاءهم ما لا يسرهم قالوا الحمد لله وهذا بعض ذلك النوع.

لكن طالب العلم والمؤمن إذا قال الحمد لله، فإنه يثني على الله جل وعلا بما هو أهله في هذا جميعا، وهذا من ازدياد العلم ومعرفة آي القرآن وما أثنى الله جل وعلا به على نفسه.

«**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض**» في دعاء صلاة الليل: «**اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض**». هذا ثناء على الله جل وعلا بما يستحقه من الأسماء والصفات ومعاني الربوبية إلى آخر ذلك وهذا البحث يطول.

من فوائد هذه الآية أن الأوراد المعروفة التسبيح والأذكار التي تكون قبل طلوع الشمس وقبل غروبها على ظاهر الآية تكون بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس، وتكون قبل صلاة المغرب، وهذا هو الذي عليه عمل المسلمين فيما مضى، فإنهم يأتون إلى المساجد للورد أو يوردون في بيتهم قبل صلاة المغرب؛ يعني قبل آذان المغرب قبل غروب الشمس، وهذا هو الأفضل، ويجوز أن تكون بعد صلاة العصر التسبيح والأوراد، ويجوز أن تكون بعد صلاة المغرب؛ ولكن الأفضل أن تكون قبل غروب الشمس، فينتهي قبل الغروب بقليل أو مع الغروب ينتهي

من ورده، لظاهر الآية ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وفي آية سورة طه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه:130].

من فوائد الآية أيضا أن التسبيح والحمد واجب من واجبات الصلاة؛ لأن التعبير عن العبادة ببعضها يدل على وجوب ذلك البعض كما هو مقرّر في أصول الفقه.

[المتن]

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44)نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (45)﴾

يقول تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكا أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي من الأجداث.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وذلك أنّ الله عز وجل يُنزل مطرا من السماء، يُنبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد، أمر الله تعالى إسرافيل، فينفخ في الصور وقد أُودِعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لترجعن كلُّ روح إلى الجسد الذي كانت تعمره. فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعا، مبادرين إلى أمر الله عز وجل.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:8]، وقال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:52]، وفي صحيح مسلم عن أنس ▲ قال: قال رسول الله ✕ «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**».

وقوله عز وجل ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا، كما قال جل جلاله ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[القمر:50] وقال سبحانه وتعالى ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:28].

وقوله جل وعلا ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهوّلنّك ذلك كقوله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر:97-99].

وقوله تبارك وتعالى ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي ولستَ بالذي تُجْبِر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي لا تتجبر عليهم.

والقول الأول أولى، ولو أراد ما قالوه لقال: ولا تكن جبارا عليهم، وإنما قال ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾؛ بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان، إنما أنت مبلغ.

قال الفرّاء: سمعتُ العرب تقول: جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره.

ثم قال عز وجل ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي بلّغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[الرعد:40]، وقوله جل جلاله ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية:21-22]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾[البقرة:272]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾[القصص:56].

ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم.

[التعليق]

الآيات ظاهر معناها ما فيه إشكال إلا في قوله ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ ومعلوم أن ﴿جَبَّارٍ﴾ صيغة مبالغة من جابر، وجَبر معناها غير أجبر واسم الفاعل من جبر جابر وصيغة المبالغة جبار، وأجبر على الشيء يعني ألزم به، اسم الفاعل منه مجبر، أجبره يجبره فهو مجبر عليه، واسم المفعول مجبَر عليه.

ولهذا وقع الإشكال هنا في جبار ففسرت بعدة تفاسير مثل ما رأيت:

منهم من قال ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ يعني بمتكبر عليهم ومتجبر عليهم يعني نظر إلى أنها ثلاثي، جبر عليه؛ يعني تعاظم عليه أو تجبر وتكبر عليه.

والمعنى الثاني إذا كان من أجبر يجبر فهو مجبر، يكون من الإجبار، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ يعني وما أنت لهم بملزم.

وهذا المعنى هو الذي يناسب الآية، تكون ﴿جَبَّارٍ﴾ هنا بمعنى مجبر كما ذكر، وقد قال الفراء إنه سمع العرب تقول: جبر يعني ألزم، جبر يعني أجبر، فيكون هنا في معنى الإجبار الذي هو الإلزام يكون فيه من الثلاثي ومن الرباعي جبر وأجبر بمعنى في الإلزام يعني بمعنى واحد في الإلزام، وهذا هو الأولى لسياق الآية وليس المعنى المتكبر والمتجبر عليهم ولو كان دلالة اللفظ ثلاثية فيه؛ لأن السياق دل على المعنى الثاني وهو أن الجبار هو الملزم يعني وما أنت عليهم بجبار وما أنت بملزم لهم ومجبر لهم على ذلك.

قوله جل وعلا ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ فحصره في التذكير عليه الصلاة والسلام، وهذا يعني أنه ليس بملزم، كما ذكر الآيات ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:21-22]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾[القصص:56]، فإذن الإجبار ليس إلى الداعية ليس إلى الرسل عليهم صلوات الله وسلامه هذا إلى الله جل جلال، وإنما وظيفتهم التذكير بما أمر الله جل وعلا به.

فهذا تتنبه أحيانا يكون خلاف في تفسير الآية راجع إلى النظر اللغوي، فإذا كان عند طالب العلم نظر في اللغة فهم وجه الاختلاف في التفسير ثم يكون هناك بعد ذلك الترجيح.

وفي أسماء الله جل وعلا الجبار، والجبار في أسماء الله جل وعلا يشمل المعنيين الذين ذُكِرا هنا ومعنى ثالث أيضا.

الجبار في أسماء الله هو المتكبر المتعاظم.

والجبار جل وعلا بمعنى المُلزم النافذ أمره لا يرد؛ يعني المقصود الأمر الكوني.

والجبار وهو المعنى الثالث مأخوذ كما قالوا من النخلة الجبّارة أي العالية في السماء، ومعنى الجبار في أسماء الله جل وعلا في هذا المعنى الثالث أي ذو العلو يعني العالي.

فهنا ذكر القولين في وما أنت عليهم بجبار وهي واقعة في حق الله جل وعلا جبار بمعنى متعاظم متكبر سبحانه وتعالى هو جبار بمعنى ملزم في أمره الكوني لا أحد يفر من أمره الكوني ولا يختار ﴿**مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[القصص:68]، وجبار بمعنى العالي سبحانه وتعالى.

هنا ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ التذكير والإنذار جاء في القرآن عاما، وجاء خاصا، ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ مثل الإنذار قال ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ**﴾[فاطر:18]، ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**﴾[يس:11]، فالتذكير:

تارة يكون عاما ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾[الغاشية:21] ﴿**ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾[القمر:31].

وتارة يكون خاصا بأهل الإيمان وأهل الخوف، وهذا لأجل أنهم هم المنتفعون به، فتخصيص الإنذار والتذكير في المؤمنين في آيات كثيرة بسبب أنهم هم المنتفعون به، عند أهل السنة،

وليس لأنه أجبرهم على الإيمان أو جعلهم يلتزمون به جبرا؛ بل الإنذار عام واختص بالمؤمنين؛ لأنهم هم الذين استفادوا منه وأفادوا منه. نعم

أعدّ هذه المادة: سالم الجزائري